بهتان

صرخة مكتومة

رواية

بهتان

صرخة مكتومة

المؤلفة

هلاله ماجد

2019

غرابة، هلاله ماجد
بهتان/ هلالة ماجد غرابة .- عمان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، 2019
( ) ص.
ر.إ.: 4966 / 9/ 2019
الواصفات: / الروايات العربية/ / الادب العربي/ / العصر الحديث
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي
دائرة المكتبة الوطنية او اي جهة حكومية اخرى

جميع حقوق الطّبع والنّشر محفوظة.

لا يسمح بتصوير أو نسخ جزء أو كل هذا الكتاب بدون الموافقة الخطّية من المؤلف.

وكل مَن يُخالف ذلك، يعرّض نفسه للمسائلة القانونية

الطبعة الأولى، 2019

- **تصميم الغلاف : مريم محمد**

دار يــافــا العلمية للنشر والتوزيع
الأردن – عمان – تلفاكس 4778770 6 00962
ص.ب 520651 عمان 11152 الأردن
E-mail: dar_yafa @yahoo.com

الاهداء

إلى كل دور النشر التي رفضت نشر كتاباتي والتي قالت إنني مجرد فاشلة.

إلى أبي أولاً وثانياً وآخراً، لأنك كل شيء يا روح القلب.

إلى أمي، الشخص الذي حملني في قلبه بعد أن ولدت من رحمه.

إلى عائلتي الصغيرة، البيت الآمن والحضن الدافئ دائماً وأولاً.

إلى متابعيني وأصدقائي ومشجعيني، لأنكم السبب في أنني أحاول حتى هذا اليوم.

إلى الصفحات الالكترونية التي آمنت بوجود موهبتي وقامت بنشر كتاباتي وشجعتني على أن أكمل.

إلى دار النشر التي ستنشرها ولا أعرف من هي حتى الان، شكراً لأنكم تساعدونني لأكون شيء.

إلى نفسي، لقد وضعتي كل دموعك وفرحك وتعبك وجهدك النفسي لتلمسي حلمك، أنت الأفضل.

مقدمة

إن الذين نشئوا دون أسم، دون هوية، دون أثبات لوجودهم في الحياة، دون أن يتسنى لهم أي فرصة في التعليم أو العمل بسبب عدم وجود أوراق وشهادة ميلاد وهوية، الذين حرموا من حقوقهم والذين تلوثوا بسمعة لا ذنب لهم فيها، الذين يمرون الناس من أمامهم بنظرات الشفقة أو الحقد أو الخوف، الذين يبعد عنهم الأطفال وتمتنع عنهم الصداقات.

الذين وجدوا في القمامة وعلى أبواب الجامع وأبواب الكنائس والبيوت، الذين كانوا مجرد نتيجة خاطئة لكثير من النزوات والاعتداءات وسوء الاخلاق.

نطالب بإيجاد حل لهم، نطالب بخلق فرص وهوية تثبت وجودهم.

هؤلاء بشر يا معشر البشر!

الفصل الأول

{صدفة}

ان الحياة خلقت من صدف!

هل حقا سوف تلمس السماء دونه؟ ليس للطفل الجرأة على قطع الشارع دون أن يمسك بيد والديه، لكنها طفلة شقية، صفة شاذة، حالة استثناء، لطالما كانت فلسفيتها في الحياة تتمحور حول الاختلاف، كسنبلة قمح رطبة في موسم حصاد، قواعد حياتها اللامنهجية كانت تتوقف عند لمعة عيناه ورائحة أحلام سندريلا كلها كانت من ضحكته تفوح، أليس علينا أن نحب احلامنا حتى وإن لم نسطع إليها سبيلا؟ قال لها يوماً الأحمق وحده من يحاول أن ينتحر او يقوم بإيذاء نفسه لأجل عالم لا يستحق ان تدمع عليه قطرة واحدة صغيرة! انستي، علينا أن ننتقم ونشعل حرباً لكن دون قتل، بل بالنجاح والتفوق، علينا القتل بالانتصار! أليس هذا ما فعلته؟ ألم تتبع منهاجيته؟ هل يحاكم الاحتلال احداً لأنه اتبع سياسته؟

كانت تتمنى لو يبدئان معاً من نقطة اللاشيء، أن يعمل هو وتعمل هي، أن يبنيان بيتهما حجر على حب ويأكلان البساطة

ويلبسان العفة والصداقة، وأن يتمردان على سياسة المحتل معاً. كانت تريده مناضلاً؛ فالفلسطيني المناضل لا يرى شيءً مستحيلاً ويفدي روحه في سبيل وطنه. كانت له وطن عسى ان يكون مناضلاً لأجلها لكنه لم يرى وطنه مسلوباً ليناضل من اجله، كان عليها أن تبحث عن محتل لكي يثبت حبه لها.

كان دائما يحاول اخبارها أن الاحلام تحتاج إلى الليل الدامس والنجوم لتشعر برغبة في النعاس فتحلم، لكنها – من جهة أخرى -كانت تحاول أن تبين له أنه ليس محق، إن الاعمى يستطيع أن يحلم في أي وقت يريده، لذا عليها أن تتعامى وتسير نحو حلمها وهي ممسكة بيده وتسير بمحاذاته، كان يطلق ضحكته الصفراء الشقيقة لأوراق الخريف ويقول: امامك طريق طويل مليء بالسراب، حتى صار هو سراب.

هل كان يراها اقل من مقامه؟ لطالما رفض الماء الاختلاط بالزيت وذلك لان الماء سر الحياة ولا أحد يستغني عنه، ماذا تساوي قيمة الزيت جانبه؟ لا مشكلة ان كانوا بنفس الكأس لكن دون اندماج حتى وإن اجبرتهم على ذلك، نظر حينها إلى الأرض وقال: ماذا لو أن الزيت هو من يتكبر على الماء؟ إذ أنه دائما في اعلى الكوكب ويرفض الاختلاط بالماء، غيرة مثلاً؟

توقفت لحظة أفكر، هل يظن أنني أغار من نجاحه؟

في لقائنا الأخير وقفت شامخة وقلت: غداً موعدنا يا سيدي، سوف اخطف جائزة أفضل مؤلف من يديك، سوف تنتصر الاحلام على المواهب، سأصعد تلك المنصة بعد استدعائي وتصفيق عالٍ من الجمهور لاستلم جائزة انت تعمل عليها منذ مدة! استرق نظرة إلى وهو يلتفت وقال بتكبر: لا أحد يلعب في مرماي وانا احرسه والكرة تلك ليست سوى لعنة سحرية أحركها كما اريد. كان قد تحول إلى وحش في تلك الليلة وما كان من الجميلة إلا أن تتحداه وتتخلى عن الحب وتتخذ الكره حلاً لإزالة السحر.

ها قد أتى الغد الذي راهنته عليه، ها هي تتوشح الشهرة وكأنها فراء حول رقبتها، قد نضج المحصول وعليها أن تحصد ثمار تعبها، وضعت خطة لغداً. هي سوف تجلس في المقعد الامامي ثم سوف يستعدونها إلى المسرح سوف تقف برشاقة وتسير – كما لو كانت تحسب المسافة – خمس خطوات متناسقة كأنها فوق غيمة او صخرة تكاد تقع، قطة او عارضة أزياء او مارلين مونر على سجادة حمراء، قد تتمايل عند صعودها على درجات المسرح ثم ترفع رأسها عالياً تسير نحو الجائزة ومنصة الالقاء، سوف تقوم بتنعيم صوتها تلقي بعض الكلمات من الشكر والفخر وتحث على التقدم والمثابرة ثم

ستلعنه بطريقة نثرية او بأخرى، ثم ترفع الجائزة عالياً لتأخذ بعض الصور لها معها وتعود إلى مقعدها بعد ان ترسم على وجهها ضحكة كبيرة مغرية للنجاح.

تقسم انها لن تنظر للجمهور تفحصاً له ولن تهتم لحضوره. يهمها أن يعرف انها هي من استلمتها، أن تعبه ذهب لها، أن الشيء الذي تخلى عنها لأجله تخلى عنه لأجلها، يسعدها ان تراه مهزوماً امام كبريائها.

سبعين عذراً لم يكفوا لليلة واحدة لشخص قد رحل!

كان الليل طويل جداً وشديد الاسوداد كما شعرها تماماً، كانت تشعر أن الوقت لا يسير وأن دقات الساعة مجرد نغمة للتوتر، أحست أن قلبها سوف يتوقف من الخوف وأن الدم بدء ينفذ من جسمها والاكسجين يرفض جعلها تتنفس، كأنها تصارع الموت وترفض الاستسلام له والعرق يتصبب من جسدها او ان خلايا عقلها بدأت بالتعفن من شدة الذكريات وكل هذا لسبب غير مقنع تحاول تجاهله؟ أكانت تحبه؟ تسأل هي نفسها، محال، كانت تدمنه!

كانت الذكريات تدق في رأسها كلما دقت تلك الساعة الخشبية التي اكتسبت لون مرجان البحر المائل إلى الأحمر

الجالسة بجانب مزهرية مليئة بالورود الحمراء فوق طاولة خشبية بلون بني قاتم بجانب باب المنزل، لعلها تحمل في دقاتها لعنة حبه، او قد يكون سحره مغموساً مع الوقت؟ إن ذلك ليس بعيد عن رجل الوقت! كانت تريد شراء الساعة لكنها حصلت على الساعة ورجل الساعة.

بيانو، قهوة أمريكية، تلفاز قديم دون ألوان، كتاب دون صور، وشجرة لوز في أيام شتاء، مزيج بين الأبيض والأسود، الخير والشر، الشحنات السلبية مع الإيجابية هكذا كان هو... كما عقائد الدين عليك أن تتبعها، تحبها، تشعر بالولاء لها حتى وأن لم تفهمها، كان تحبه... لم تفهم يوماً سبب تصرفاته او أوامره او كلماته ولكنها تتبعها بحذافيرها تحبه وتشعر بالولاء له.

سألته هي يوماً: لماذا يقوم الرجل بتحويل المرأة إلى ما يريد ثم يتزوجها؟ لا يأخذها كما هي؟

أجاب بكبرياء: هل يجب أن نأخذ الشجرة كما هي ونضعها في بيتنا؟ علينا أن نأخذها ونحولها إلى اخشاب ثم إلى طاولة ثم نأتي بها إلى المنزل.

ردت: أليس تلك الشجرة نفسها التي اعجبتك كما هي والتي كنت منها تقطف الثمار وبها وتستظل من حر الدنيا؟ هل هذا جزائها؟!

لطالما كان تيار اجاباتها مستمر، دائماً ما كانت تغرقه بالإجابات الصادمة التي من خلالها تسترجع نصرها. وكان يكتفي هو بالسكوت.

كمجموعة من المجرات تسبح في الفضاء كانت كلماتي له، لا جاذبية لكن الفراغ ممتلأ.

شرقي انانى عنيد لا مبالي ولا يلفت انتباهه وجود جنة بجانبه، كان دائما يتطلع للمزيد، كان يسعى للحصول على جنة امتلاكاً وتملكاً يريد امرأة تمنح حياتها كاملة له، تتنازل عن احلامها وتبدلها بعينيه البنيتين، تترك مستقبلها وتصنع من بيتهم مستقبل، تكرس حياتها لخدمته لا لنفسها ويقول لن ازوج ابنتي مستقبلاً إلا بعد أن تكمل تعليمها ويوافق الرجل على عملها، ثم تأتي الدولة وتقول لا يجب أن تكون المرأة حكم في المحكمة بل الرجل فهو عادل!

قالت له يوماً: لا تنظر في عيني، لدي كحل اسود مر أكثر من القهوة، يتطلب الامر عشر ثواني مني لقتل أي رجل به،

واحذر من ضحكتي، عندما ابتسم تتطاير شظايا تحرق قلب الرجل، فما بالك بضحكة كبيرة؟!

أجاب: إذاً قومي بترويس صفحة الرجال الموتى لديك بإسمي واضيفي بجانبه عاشق بيان!

كان كاذباً، بحركة ما قلب السحر على الساحر، سحب اسمه واحرق الورقة وجعلها رماداً يتناثر فوق قبرها.

ما الذي يجعل المرأة الكاملة التي تضحكي بنفسها في سبيل حلمها كما وعد بلفور للعربي؟ يلعنه، يشن حرباً على كل قرارته، ثم يشتري بعض المكسرات في نهاية المسيرة ليتسلى بها في يوم العطلة الذي يصدر ضد وعد بلفور!

كانت هي كالقدس حلمها الحرية وكان هو كما العرب يحبها يتمنى امتلاكها لكن لا يستطيع أن يتحرك قليلاً لأجلها.

في اليوم التالي كانت قاعة الاحتفال تطفح بالناس، المقاعد المتلئة واصوت الناس والتصفيق تتعالى، سجادة حمراء تقليدية تفصل بين أمواج الجمهور؛ لنمر نحن فوقها عندما نغادر امام الجميع، الأضواء تصدح وبقوة عينيك تغلق نسبياً لشدة سطوعها والمسرح العالي الذي يحمل الورود الجميلة على

جوانبه وهو فارغ من كل شيء عدا منصة الالقاء وثلاث كراسي متقابلة مع ثلاث أخرى، الصف الامامي كله فارغ ويحمل أوراق كتب عليها (كرسي محجوز)، الجوائز لا أثر لها ربما ترتاح خلف المسرح حتى موعد صعودها.

نحن (المدعوين، المرشحين، لجنة الالقاء) نقف خارج الباب، تُلتقط لنا الصور حتى تأتي إشارة تصرح بدخولنا بعد ان يقومون بتنظيم الحضور، والكل يدعي الثقة بالنفس الاسترخاء اما باطنهم الكل متوتر وهذا ما يفضحه كلامهم، يُطلب منا التوجه إلى أحد الغرف التي تقع خلف القاعة، فندخل ويقفل الباب خلفنا. فجأة فتحت الأبواب، على عجل دخلت لجنة النظام، كل شخص يضع سماعة ومايكرو فون، يقومون بإحاطتها كما جدار الفصل العنصري، يرسلون عبر المايكرو فون كلمات عن الوضع ويتلقون أوامر عبر السماعة كأنهم جيش من الاحتلال يطوقون المجرم، يأتي أمر دخول لجنة الالقاء، نسمع صرخات اعجاب من الداخل ثم تنطلق ثم تنطلق أصواتهم من على المسرح، يقومون بنسج الكلمات ليفك أسرنا فرد تلو الأخر تلو الآخر وقبل دخولنا تقوم احدى اللجان بتعديل مكياجنا وملابسنا والمظهر الخارجي دون أن يهتم أحد للنار التي داخلنا.

يأتي دوري، يمسكني احد أعضاء النظام من معصمي يوقفني امام الباب المطل على المسرح يتلقى أوامر يخبرني أن أقف والقي التحية بيدي فقط دون كلام واتوجه إلى الأسفل مقعد رقم خمسة بجانب إحدى الفنانات وهي التي دخلت قبلي، اهز رأسي مرتين للموافقة يشير إلى احدى العاملات بالمكياج تقوم بتلطيخ وجهي اكثر ثم تأتي واحدة أخرى تطلب مني حمل الحقيبة باليد اليسرى تخبرني انه يجب علي أن امسكها بكلتا يدي على المسرح اوجهها مقابل بطني ارفع يدي اليمنى أقوم بالتلويح للناس اعيد يدي مكانها وان لا ارتكز على قدمي معاً بل على اليسرى واحرك اليمنى

للأمام قليلا ثم ارفع يدي الأخرى وبعدها انحنائه للأمام قليلاً ثم أتوجه لكرسيي بخطى متقاربة لكن يجب علي الإسراع قبل دخول من بعدي يجب أن أكون وصلت كرسيي حتى لا ألفت نظر ثم يعود رجل التنظيم يسألني اذ كنت مستعدة ثم يفتح الباب لي بعد تلقيه الامر.

صعدت على درجتين وجدت نفسي على المسرح فعلت ما طلب مني تماماً غير انني كنت ابحث بين الجمهور عن عيون ربما تتصيدني او تكرهني او تنظر إلى بحقد إلا انني لم اراه، كان صخب الجمهور يسعدني فأبتسم ثم مشيت إلى يمين المسرح،

نزلت درجتين توجهت إلى المقعد رقم خمسة جلست برأس مرفوع وكبرياء إلا اموت من توتري.

ماذا لو لم افز؟ لن اخسر اللقب والجائزة والجمهور والثقة فقط، بل سوف أخسر الرهان معه! كبريائي سوف ينكسر امامه وعمل طوال تلك السنوات سيذهب سدى.

بدأ الحفل، تَسلَمت الجوائز كل اخذ نصيبه وجاء نصيبي!

كاللحظة الأولى من الانتشال من أسفل الأنقاض، رعب وخوف وتشتت وضيعان وبحث عن الاهل وعن أقرب طبيب وأقرب حضن وبطانية، كنت أرجف قبل النتيجة وبعد أن تم ذكر اسمي ازدادت الرجفة، هل حقاً انتصرت؟ ام انه حلم؟ إلا ان تصفيق الجمهور كان يدفعني إلى المسرح على عجلة. وقفت استلمتها ألقيت كلمة شكر وامتنان إلى أحد الشركات التي كانت سبب في تمويل جائزتي وجزء من الحفل، شكرت الجمهور ولجنة التقييم وقمت بحرص اختيار كلمات ادعم فيها كل من يحاول تحقيق أحلامه ثم جلست على الكراسي على المسرح بجانب الفائزين بجوائز أخرى كالرسم والغناء.

كانت الكراسي المقابلة لثلاثتنا يجلس عليها رجلان، كل منهم قام بالمساهمة في تمويل الحفل والجائزتين السابقتين ثم

بقيت جائزتي ومسؤول التمويل او الشريك لهم، كانوا يقومون باستدعائه للمسرح لتكريمه بينما انا ترتسم على وجهي ابتسامة وابحث في الحفل عنه لعله يرى انني هزمته!

يقوم المقدم بالإفصاح عن اسم الممول فيصرخ: لنصفق معاً للسيد العظيم والصديق الرائع السيد جميل صاحب سلسلة شركات المالكي.

يهتف الجمهور له، بينما انا في صدمة، ان الذي ظننت انني اليوم هزمت كبريائه. هو الي يوصلها إلى النجاح وهو الذي يقدم الجائزة لها!

ما الذي يحصل؟!

فجأة يخرج من بين الحشد كأنه كان يغطس في الماء ثم خرج، اخذ يقترب من المنصة ودقات قلبي تقترب من حبه، تبحث عنه في الزاوية المظلمة من القلب وتوقظه، اخذ صوت قرع خطواته يسمع داخل قلبي ويخرج على شكل دقات، كان يرتدي قميص اسود، لطالما اخبرته ان اللون الأسود يليق به، انه يتماشى مع لون شعره ولحيته الكثيفة، ان الأسود مع الأسود اناقة.

يصعد درجتين المسرح، يصافح المقدم ويتقدم نحو منصة الالقاء يقف منتصباً ليلقي كلمته بينما صوت انفاسي أصبح مسموعاً والنار في داخلي تشتعل أكثر لدرجة ان شرارها يطل من عيني.

يرفع رأسه عالياً يبتسم للجمهور ابتسامة الثقة، كم أكره ابتسامته تلك فإنها تضعفني تستنزف قوتي تجعل كل قراراتي عكسية.

- مساء الخير جمعيهاً... يسعدني وجودي هنا بين الكثير من الفنيين وانه لمن دواعي سروري ان أقدم جائزة ابداع لاحد الكتاب الصاعدين وهي الآنسة بيان.

يلتفت للمقدم يسأله، أي منهم هي بيان؟ فأشار إلي المقدم فنظر هو إلي وابتسم مع تحريك رأسه للأمام وبادلته الابتسامة كغريبين يلتقون لأول مرة، او كأننا نحتاج إلى حركات التعارف هذه! ام انه لا يعرفني بينما يتخذ قلبي مسكناً له. يلتفت للمنصة مرة أخرى يشكر الجمهور على حضورهم ويلتفت إلي.

رفع رأسه عالياً والتفت إلى مقاعد المولين ثم رفع كرسيه ووضعه جانب احدى المولين وهي فتاة، يظن انه بحركته تلك

يستطيع ان يغيظني، لكنه فعلاً ينجح! يقترب منها يصافحها ويطبع قبلة على يدها بينما هي تبتسم وتحمر خجلاً وتصنع من هذا كله وقود لروحي.

أشيح بنظري عنهم لتقترب احدى الفائزات الغبيات مني وتقول: ان السيد جميل رائع فعلاً انه اسم على مسمى وانظري إلى لطافته!

- هناك من هم أجمل والطف لا يهمني هو.
- هل تغارين لأنه قَبل يد الانسة بدل يدك؟ ام لأنه رفض تسليمك الجائزة وقام المقدمة بتقديمها لك؟
- لا شيء من ذلك ولا يهمني حتى.

{رسالة إلى احمد}

ليتك هنا... الأمور تزداد سوء...

لم اهزم جميل ولم انتصر لقد خسرت الرهان! انه محق لا أحد يلعب في مرماه، كنت غبية لم أفكر يوماً كيف ألعب، كنت أحاول الفوز فقط لم أفكر انه اشترى الملعب ولم أفكر انه غير المرمى وكان يلهيني بالكرة، لم اقرأ قواعد اللعبة حتى.

لقد وقفت على المسرح كما توقعت واستلمت الجائزة كما اخبرتني لكنه لم يكن منافساً كان الحكم... هو من دفعني للانتصار انا لم انتصر بمجهودي، اقسم انها مؤامرة، من المؤكد انه عمل طوال تلك السنوات حتى أصبح ثري بل أكثر الناس ثراء ولم يكتب سطر واحد، وبعدها دخل إلى المنافسة كممول للحفل وعلى الاغلب حرص على أن يكون ممول للكتابة حتى يهزمني بطريقته تلك... اعترف كان ذكي جداً.

اتعرف ماذا فعل؟ لقد كان يجلس بين الناس ويراني لكنني لم ألمحه، وعندما هتف المقدم باسمه خرج وهو يرفع رأسه، وقف بين الجمهور ثم خطى خطواته تجاه المسرح وهو يرفع يده يحيي الصرخات وكل الناس تهتف له، كيف أصبح ثري دون أن أعلم؟ كيف كان مشهور هكذا دون أن أعرف؟ كيف يعرفه الجميع؟

هل تستطيع الشمس أن تشرق على كل الأماكن عدا بيت؟ هل يكون اللعب عادل هكذا؟

ثم صعد المسرح وصافح المقدم وقف على المنصة ليلقي كلماته، اخذ نفساً عميقاً ثم القى الشباك علي، كنت ابتلع الطعم طوال الوقت دون أن أرى الصياد، وبعدها تظاهر بالغباء واثبت للكل انه لا يعرفني اذ سأل المقدم: أي منهم هي بيان؟! كان سؤاله كالسم في قلبي حتى انا كدت اصدق انه لا يعرفني حين نظر إلي وابتسم، عاد لينهي كلماته ويتجه إلى كرسيه على المسرح، وما أدراك ما كرسيه، لم يجلس مكان ما وضع له الكرسي بل رفعه ووضعه بجانب الانسة نهى التي قامت بتمويل جائزة الرسم ولم يكتفي بحرقي هكذا بل وضع مواد الاشتعال على قلبي حين صافحها وطبع قبلة على يدها.

كانت الفتيات كلها تجتمع حوله بعد انتهاء الحفل ويلتقطن الصور معه وهو كالأبله يبتسم، اما انا كنت قد اخذت جائزتي وعدت إلى البيت كالذي رافق زوجته إلى مشفى لتضع طفلها فعاد للبيت بالطفل فقط. اعلم أنك سوف تقوم بتوبيخي على ذلك وكنت سوف تصفعني واعلم أنك سوف تطلب مني أن أقف والتقط الصور وأن أعطي لنجاحي حقه دون أن التفت له او لجبروته لكنني لم أستطع صدقني! حركة

مستفزة أخرى وكنت سوف ابيت تلك الليلة في السجن لأبشع جريمة قتل لعدد من الفتيات.

ها انا هنا على مكتبي احتضن ورقة وقلم واكتب لك هذه الرسالة ورأسي سوف ينفجر، لازلت لا اصدق ما حصل، كيف استطاع احاكة كل تلك الخطط، كيف طغى طمعه في النصر على ذكرياتنا؟ كيف احرق كتبي تلك الليلة فقط كي لا اتفوق عليه واليوم يحرق قلبي كي لا انتصر عليه، يعيد التاريخ لكن في كل مرة يحرق شيء من مختلف مما املك.

انا متأكدة انه عبث بالتفاصيل، أن يرتدي قميص اسود ويطلبوا مسؤولين المسابقة مني ان ارتدي فستان اسود ليست بمصادفة، أن يدخل هو دون الاحظ أن يعلن اسمه اخر الحفل ان استلم جائزتي من المقدم لا الممول كما الاخرين، ان يوضع كرسي مقابل الفراغ الذي وضع فيه كرسيه ليقترب من الانسة، كل هذا ليس بمصادفة لقد كان كله مخطط له مسبقاً.

أتذكر عندما تحدثنا بشأن الأموال، حين اخبرتك أن الأموال ليست كل شيء واجبتني انت العكس، قلت: عندما يأن مريض سرطان في المشفى وهو يحترق ويحتاج إلى العلاج ولا يملك والده الأموال وقد يموت المريض (تصبح الأموال كل شيء!).

عندما تطرد عائلة بأكملها إلى الشارع بسبب عدم دفع ايجار البيت (تصبح الأموال كل شيء).

عندما تتعرى فتاة وتقوم ببيع شرفها والعمل في أماكن مقرفة لأجل الطعام والمال (تصبح الأموال كل شيء).

عندما يجوع اطفال صغار ويبحثون في القمامة عن طعام ويحرمون من التعليم والحقوق الأخرى (تصبح الأموال كل شيء).

عندما يتوقف ذلك الطفل بائع العلكة عند أحد محلات الألعاب وهو ينظر إلى لعبة على انها وامنية (تصبح الأموال كل شيء).

عندما يسهر الاب وهو يبكي لأنه لا يستطيع ان يحضر طعام لأبنائه في اليوم التالي وليس لديه حل (تصبح الأموال كل شيء).

أضف إلى قائمتك تلك انه عندما تتعب للحصول على شيء ثم يأتي أحدهم بأمواله ويشتريه وتعبك وانت (تصبح الأموال كل شيء!).

في المرة الأولى قلت لي انه قد نظن دائماً اننا وصلنا وقد نظن

أن حياتنا سوف تتغير ونظن اننا اقتربنا من لمس حلمنا وقد نصل إلى ذروة التفكير في مستقبل لكنها في النهاية سوف تغرب وأن النهار لن يطول، وذلك الحلم يمكن ان تلمسه فقط لكنك لم تحققه.

حياتك التي ستتغير كان احساسك تجاهها صحيح، هي سوف تتغير لكن للأسوأ ووصولك ذلك ليس وصول بل كانت نفس الطريق وكلما عدت لأول الطريق ظننت أنك في طريق جديدة وما كانت سوى دائرة، صحيح ان بعد العسر يسر ويجب ان نثق بالله وصحيح ان الحياة تأتي بعد ولادة وتعب وكل حلو لن تشعر به إلا إذا ذقنا مُره، لكن ماذا في حالتي تلك؟ ماذا يقال لمسلوب الكرامة؟

انت تعلم أليس كذلك؟ تعلم انني ابكي الآن، تعلم انني ضعيفة امام الخسائر، انت وحدك من يعلم انني اعود إلى نقطة البداية، أتذكر عندما زرت عيادتك اول مرة واخبرتك بقصتي؟ قلت انني فتاة اللانهاية! لا يوجد في حياتي نهاية، بل يوجد لا يوجد اكتمال، كلما قاربت على النهاية السعيدة اعود للبداية لقصة جديدة.

لقد مرت خمس سنوات على ...

الفصل الثاني

{عقد اللقاء}

عَقد وعِقد وعُقَد...

لم أؤمن يوماً بوجود الصدف والامنيات والملاك الحارس، انا أؤمن ان كل شيء وضع من تخطيط، كل ما يحدث معنا هو نتيجة أفعال يدينا، أي انه يستحيل اكلك لطعام انت لم تكن تريد، او على مدى أوسع لا أحد يستطيع سحب فكرة معينة تفكر فيها ان لم تخبره انت ويستحيل ان يكون ما حصل اليوم بيني وبين الممول المغرور هو بمحض الصدفة، من المؤكد انه فهم خطتي وقام ببناء خطة اقوى تعترضها، محال ان تكون صدفة.

كان الهاتف يصدر رنته القديمة بينما هي تكتب الرسالة، لعل تفكيرها صحيح، لا يوجد شيء يتكون من الصدفة ورنين الهاتف لتلك النغمة القديمة ليس له معنى سوى ان المتصل رقم قديم خصصت له تلك الأغنية والتي كانت حديثة في ذلك الوقت.

حقاً إن أصعب مرحلة يمر بها الشيء هو استبداله بينما كان هو الاحدث، كالأغاني، الملابس، الكتب، الصور، الهدايا،

والأشخاص. انه أقبح شعور داخلي يجعلك تكره ذاتك وتشعر أنك مجرد سلعة الاستهلاك او أنك ناقص او كنت غير كافٍ.

لاحظت أن الرقم غير مسجل باسم إلا انني تكلمت مع الرقم سابقاً منذ وقت طويل، اجبت "مرحباً، انا بيان من المتحدث؟"

– نحن نتحدث مع حضرتك من (النجوم)، انسة بيان، اولاً مبروك جائزة أفضل كاتبة التي حصلت عليها مقابل تقييم روايتك(ليل) والتي قامت مجموعة شركات المالكي بتمويلها، لديك جائزة أخرى من شركة المالكي عليك أن تقومي باستلامها غداً من شركة المالكي فرع المدينة، ومبارك مرة اخرى.

(شكراً) الكلمة الوحيدة الجيدة التي استطاعت ان تخرج من داخلي هي (شكراً)، خطة أخرى وضعها السيد جميل للانتقام مني، لعله لم ينتظر خمس سنوات أخرى بسبب اليوم، لعلني اسرق النوم من عينيه تلك الليلة، ربما سوف ادفع ثمن الليلة لكن على الأقل يجب ان أكون سعيدة لانتصار صغير كهذا، لقد هزمت خمس سنوات من التخطيط بضحكة مصطنعة ومهما كان الثمن سيبقى الفوز انتصاراً.

لماذا لا نجعل لقائنا فريد من نوعه؟ ليس كالآخرين. لن نحتسي القهوة الشاي ولن نبدأها بكيف الحال او السؤال عن

الأحوال بل سوف نبدأ بمرحبا ولن نقوم بالحديث كثيراً سوف نترك عيوننا نتحدث وحدها ولمَا لا نتركها توصل الأفكار دون ان نفعل... سوف نحب بعضنا ولن نفعل، سوف نلتقي ولن نلتقي، سنترك أنفسنا للهواء والنسيم المحيط وانا متأكدة انه هو سيفعل.

تركت الرسالة وذهبت لأغسل وجهي، إن مساحيق التجميل بعد الدموع تصبح ثقيلة كما القناع، كأنها طحين ووضعت عليه الماء ليصبح عجين! احسست كأنني ارفع جبل افرست لا جسدي، كنت ثقيلة جداً، حصاد التعذيب النفسي والدموع، تناولت كأساً زجاجي وملائته بالماء ودون وعي سقط ارضاً وانكسر، تحطم إلى فتات صغيرة كما جسدي تماماً.

استجمعت قواي ونهضت اجمع فتات الكأس وجسدي فلا أحد غيري يكترث لنفسي، ثم عدت إلى فراشي ألتمس الدفء والحضن الذي حُرمت منه طوال حياتي، تلك الوحدة خانقة جداً، وبلحظة ما أصدر هاتفي رنته، انها رسالة من أحدهم، على الاغلب هي رسالة شركات الخطوط الخلوية وهي عبارة عن دعايات وعروض وحملات فلا احد يرسل لي رسالة نصية غيرهم اذ ان كل الرسائل الأخرى تصل على الانترنت، نهضت وتناولت هاتفي وقمت بتفقد الرسائل لعل احداها تحمل عرضاً جيداً ولا

اريد ان اصل شركة المغرور دون ان يكون جوالي على الأقل ممتلئ بالرصيد، لا اريد ان يعرف بعدم نجاحي لمستوى الثراء ولا اريد ان اقارن به.

لم تكن رسالة بل رصاصة موجهة إلى القلب، ما أن قامت بفتحها حتى وضعت غصة في قلبها، انها مهارة المصوب الصياد الذي يعرف كيفية الانقضاء على الفريسة في الوقت الذي تكون الفريسة ضعيفة أي كأنه يعلب بأنها بوحدتها في هذه اللحظة وبدموعها ولعل قنبلة الصدمة التي رماها بها في الحفل مازالت تأخذ مفعولها. كانت رسالته تقول: (لا يوجد عدل في الحب والحرب...تقبلي خسارتك)، بعدما قامت بخبط الهاتف بالأرض وقفت باكية وصرخت: اعترف هزمني بالحب لكنني لن اسمح ان يهزمني بالحرب.

إن هذا كل ما يعرفه أن ينتقي كلمات وجمل يداوي بها غروره وكبريائه فقط، وبما انه مبدع غي ذلك سوف اجعله يخترع كلمات، سأخلق له أجواء من الخسارة لكي يمارس فلسفته بكل اريحية، سوف انتقم مرة أخرى وسأشعل الحرب العالمية الثالثة إذا اضطررت الى ذلك، لكنني لن انزل عن عرش كبريائي راكعة امام قدميه بعدما يدوسها.

هذه الليلة... وما أدراك ما هذه الليلة، تقلبات وأفكار وتوقعات

وخطط ولا شيء يفيد، هي سوف تقابله غداً لا محال، كما اسير يقضي ليلته في الزنزانة يحاول التهرب من حبل المشنقة الذي ينتظره صباحاً، هو يعرف انه سوف يعدم لا مهرب من الامر لكن كطبيعة النفس الشرية يحاول ان يقاوم يحاول ان يهرب او يحاول تخيل الموقف وان معجزة ما سوف تحرره من الموت.

هي كانت كذلك!

الساعة الحمراء تدق بصوت اعلى يجعل كل غرق البيت تسمع دقاتها. كأنها تقول: لا تنسي، انا اول الذكريات الجميلة التي بينكم وانا شرارة الحب التي قامت بإشعال هذه النار لكنها لم تعرف انكم سوف ترمون ببعضكم فيها حتى تحترقون، كأنها تعتذر وتنشر التوتر. كأنها نادمة لكنها مستمرة، كأنها مسلم يؤنبه ضميره كل يوم لكنه لا يتوب، صوت صنبور المياه الذي في الحمام ينزل قطرة وكأنها يراقص دقات الساعة وتوتري.

لا أحد يخفف عني سوى مخدتي الارملة، لقد اخذ هو زوجها في تلك الليلة. الرابع عشر من حزيران في ليلة صيفية حارة بينما كنا نتناول العشاء على طاولتي الام البيضاء ونجلس على اثنين من أولادها الاربعة، اذ انهم كراسي وردية جميلة ومريحة. اعددت حينها الدجاج المشوي والأرز الأصفر وسلطة

البندورة والخيار والجبن الأبيض المبستر، اكلنا حينها بشهية كبيرة كأننا لم نأكل من يومين، وعندما أنهينا طعامنا قمت بتنظيف الصحون والمعالق ورتبت المطبخ بينما كان هو يقف خارجاً وينفخ الضباب الأسود من فمه وسيجارته وينظر إلى من الشباك الزجاجي لباب المطبخ ويضحك، كان جميل جداً وهو يرتدي بنطاله الجينز الغامق والقميص الأسود المكوي والمرتب بعناية مع تفاصيل جسمه.

دخل حينها وتناولنا الفشار ونحن نشاهد فيلم جديد أجنبي كان بعرض حصري. وقبل ان يغادر سألني اذ كنت امتلك مخدة جيدة فهو يعاني الألم الرقبة بسبب مخدته القديمة، رافقني إلى الغرفة واخذ الزوج من على السرير وغادر.

الساعة الآن الواحدة مساءاً، توقفت العصافير عن الزقزقة ونام الجيران وهدئت الأسواق ولا أحد مستيقظ سوى الساعة ودقاتها وقلبها، لعلها استيقظت لسامعها جرس الباب لكنها لم تغادر فراشها، تريد ما يقارب ثماني ساعات نوم وقوة جبل لتتحمل كلامه ولترفع سيف كلماتها لتواجهه في المعركة المقبلة، وتظن انها كانت تتخيل أن أحدهم يدق بسبب نومها وتوترها.

كان المغلف خلف الباب يكذبها، لم تكن تتخيل او تحلم لقد

كان أحدهم يدق جرس الباب في الليلة الماضية ولأنها لم تجيب ترك لها هذا المغلف على الأرض، المشكلة انها لا تعرف من هو، تناولت المغلف وأقفلت الباب وذهبت لتغتسل وتعد الفطور لكيلا تتأخر على الشركة، وعندما انهت فطورها تناولت المغلف وقامت بفتحه، لم تضع في مخيلتها أي توقع للشيء الذي داخله اذ انها وجدت علبة صغيرة. بعدما فتحتها تفاجأت بوجود عقد من اللؤلؤ المزيف كانت تحبه لأنه هدية من احدى الفتيات في الميتم وكانت قد اضاعته ذات ليلة بينما كانت هي وجميل يمشون تحت ضوء القمر عودة إلى بيتها، وعادوا ثلاث مرات للبحث عنه ولم يجدوه، يستحيل ان يكون جميل من اخذه فقد عاد معها للبحث عدة مرات. وجدت معه ورقة مكتوب عليها (01:00) أي الساعة الواحدة هذا يعني وصول المغلف، هل يكون هنالك علاقة بين موعد الوصول وموعد اللقاء؟ انها سوف تقابله الواحدة بعد الظهر!

تركت التفكير كله وذهبت لتستعد، ليس هنالك وقت لتشغل تفكيرها بقصة قد تكون ابسط مما تتخيل لذا تركت كل شيء وذهب لترتدي فستانها وتتزين بالكحل الأسود واحمر الشفاه، لعل جمالها يجعل الحرب اهون، لعل ريح غضبه تهدئ ولعل ارتدائها لعقد اللؤلؤ المزيف هذا يعطيها إشارة حول الذي وجده.

الفصل الثالث

{سجن}

هل يدفعك الانتقام إلى كره من تحب؟ يفعل بل ويدفعك إلى سجنه ايضاً!

حتى الرمل الأصفر يلمع في الشمس، لا داعي لان تكون ذهباً حتى تشع لمعاناً، كن في الشمس فقط، ليس بالضرورة ان تصاحب الكثير من الأشخاص لتكون معروف، فقط اسعى إلى حلمك والجميع سوف يتمنى صحبتك.

وصلت على الموعد، كانت الساعة الواحدة إلا خمس دقائق أي ان هناك هدنة تساوي خمس دقائق وهذا يعد جيداً لعلها تلتقط أنفاسها وتستريح قبل أن يبدأ راديو لسانها بالعمل.

دخلت إلى المالكي التي كانت كما القصر الكبير، تشبه الوحش لا لجمالها بل لما سوف يحدث معها داخلها.

استقبلتها موظفة الاستقبال وصحبتها إلى قاعة الاستقبال واخبرتها أن السيد جميل سوف يكون على الموعد هنا، تبعتها احدى العاملات وهي تحمل صينية فضية تلمع كأنها صنعت من فضة وعليها كأس عصير المانجا وكوب الماء وصحن يحوي

كعكة شوكولا بجانبها حبتين من التوت الأحمر وشوكة وسكين، قامت بوضعها على الطاولة امامي ثم وقفت خلف موظفة الاستقبال ثم قامت موظفة الاستقبال برفعها وتقديمها لي، تفضلي ارجوك...نحن موصون عليك، قالت هي، فرفعت كأس الماء وشكرتها فأعادت الصينية وقبل أن تخرج هي والعاملة قالت لي: سوف يكون النائب حتى يصل السيد جميل.

شربت الكأس على عجل قبل أن يأتي النائب وقمت بوضعها على الصينية فإذا بشخص أشقر يدق الباب ثم يدخل

- بيان؟! يا فتاة ماذا تفعلين هنا؟ قال.
- محمد؟! يا اللهي اخيراً شيء يطمئنني.
- يضحك، سعيد برؤيتك بعد كل هذه المدة، يبدو عليك النضج وقد ازدتي جمالاً وما زلتي قبيحة الشعر.
- تضحك، ما زلت ذلك الفتى الشقي لكنك لم تعد فوضوي، انظر إلى نفسك!
- نعم فقط غلبنا القدر وتملكنا شركة للنشر وأصبحنا مرتبين، اتعرفين أن...
- الشركة لجميل؟ اعرف وانا هنا لمقابلة.

محمد هو صديق جميل المفضل وشريكه في كل شيء، يتمنى

لو يموت ولا تلمس جميل شوكة، وكان اول الأشخاص الذين عارضوا انفصال جميل وبيان لأنه اكثر شخص يعرف حبهم وحاجتهم لبعض لكن لم يكن بيده حيلة فهو ايضاً يعرف سبب انفصالهم الحقيقي، فهو اصبح صديق بيان ويعرف لماذا تركت جميل لكنه صديق جميل اولاً ويعرف سبب فعلته لكنه ايضاً لم يستطع اخبارها، محمد كان يبحث عن فتاة فريدة من نوعها، كلما قابل فتاة كان يحبها يومين ثم يتركها، لم يتوافق عقله مع أي فتاة لذا كانت بيان مضطرة لمقابلة كل فتاة في كل فترة لأنها سوف تكون صديقتها وستعيش قريب منها مستقبلاً، لكن لم تنفع الحيلة، لم يتزوج محمد ولم تتزوج هي وجميل.

كانت الشركة هادئة جداً لم يكون هناك أصوات للحواسيب او الموظفين لكن محمد طمئنها ان الطابق الأول فقط للاستقبال لا للأعمال، جميل يحب تهدئة ضحيته قبل أن يقتلها، أن يشعل ناراً هادئة لا مخيفة، يريد التمكن منها قبل ان يثبت مخالبه عليها.

رأيته من الزجاج يدخل الشركة ويقف عند موظفة الاستقبال لتخبره انني بانتظاره فأشار إلى الأعلى وذهب باتجاه المصعد فجاءت الموظفة وقالت: ثواني وسوف يكون هنا لقد ذهب لإحضار الأوراق. لربما لاحظ محمد توتري فقال: هو لا يأكل

البشر، اشعر كأنني اجلس مع فتاة لا اعرفها هدئي من روعك بيان!

- انت لا تعرف ماذا سوف يحصل الان.
- الحرب العالمية الثالثة؟ وضحك ثم أضاف، انا هنا سوف اساعدك لا تقلقي.

كما الأسد ملك الغابة الذي يمر بجانب الحيوانات الأخرى بكل ثقة دخل من الباب وقف امام الطاولة وهو ينظر إلي، هل يخطط ام ينفذ؟ نظرته كأنه يحاول ارباكي، ثم وجه نظره إلى عقدي اللؤلؤي وأعاد نظره إلى وجهي: أتمنى أنك لم تواجهي مشاكل في الوصول إلى هنا؟ قال.

- لا لم افعل.
- جيد، هل نبدأ؟ ليس لدي كامل وقتي فأنا رجل أعمال منشغل جداً.

يكاد الشرار الذي في عينيه يحرقني ويحرق المكان، يكاد غروره يقتله لا يقتلني، ونظراته الشريرة تجاهي كأنني عدوه اللدود تجعلني ارتبك، ثم انه لم ينظر للأسفل او للأعلى، جعل مني نقطة ارتكاز نظره فلم يزح عينيه عني ابداً، اما انا فلم اتحكم بنفسي كنت كالقطة الخائفة عيني كل ثانيتين في مكان

مختلف، يا له من محتال!

أراد محمد أن يلطف الجو فقال: تأخرت دقيقتين يا جميل، عادتك في التأخر لن تتغير، أليس كذلك بيان؟ اتذكرين دائماً ما كان يتأخر على الطعام وعلى الحديقة!

لا اعتقد أن جواب محمد كان في مكانه ووقته المناسب فقد التفت إليها وقال: كنت اعتقد أن زائرتنا قد غيرت عاداتها منذ أن أصبحت مشهورة وأنها سوف تتأخر بانشغالاتها، إذا انسة بيان لم تجيبني، هل نبدأ؟

– نحن نحددها حسب ما نريد، انها مكافئة ليست حبس!

صوته وحده يكذبه! مكافئة لكن كلامه يدل على انها مصيبه، يستحيل للورد يذبل من فراغ! إذا لم نقطع الماء والضوء والتراب عنه كيف له ان نبذل؟ وهكذا كان كلامه يفتقد الماء والتراب والضوء، ذابل إلى درجه عدم التصديق انه ورد.

وضع الأوراق على الطاولة بجانب الصينية وارجع رأسه للخلف متكئ على تشبيك يديه خلفه، فتناول محمد الارواق وقدمها لي: محمد ارجوك! هي ليست مبتدئة، هي فنانة عظيمة وتعرف كيف تأخذ الأوراق وتوقعها، أليس كذلك! حينها شعرت بعدم ارتياح كأنه فخ ماو صديقه يحاول فكه، أعاد محمد

الأوراق وعدت انا لرفعها وتناولت القلم لتوقيعها.

ضحكنه الصفراء جعلت من عقلي دومة، يستحيل انه يضحك من فراغ هو اذكى من ذلك، هنالك سر مخفي... هنالك جو غريب... هنالك رائحة بشعة... ليست غرور فقط بل خبث وحليقة، ورائحة توتري تنتشر في الأجواء، ليس جميل فقط من لاحظت بل محمد ايضاً حتى انه قام بوخزي لأستعجل في التوقيع، حيث قرئت الأوراق لاحظت انه ليس هناك مدة مذكورة بل مكتوب (يمنع منعاً باتاً ان يتم نشر أي شيء في أي شيء في أي مكان ومع أي دار نشر طوال أن الموقعة ادناه تكتب إلا بإذن خطي من شركات المالكي وموقعة من المالك او النائب)، هذا يدعى جنونه، انا لست اسيرة عنده.

لن اوقعها، سياسات الحرب واتفاقياته لم تتضمن يومياً جملة إلى الأبد، ولم نسمع عن مكافأة او هدايا تحمل جملة إلى الابد، ان تلك الكلمة لم تسمع غلا في الحكم على الاسرى والمعتقلين (أربع مؤبدات، خمس مؤبدات، عشرون مرة إلى الابد) هذا ما يحكمه جيش الاحتلال على اسرانا وكأنهم الإله، يقررون مدة المؤبد ثم يضاعفونه على شخص كما يريدون.

في وطني تلد الأمهات ويسجن الاحتلال، يدخل الأسير على امل خروجه فيحكم مؤبد، أتعي كلمة مؤبد؟ أي انه لن يعمل

يتزوج لن ينجب الأطفال لن يأكل لن يرى عائلته لن يكمل تعليمه ولن يرى فلسطين ولا الوطن الذي هو في الظلمات لأجله، هو سيعيش حياته ليتعذب فقط! هل هناك عاشق يعشق محبوبته كما الفلسطيني لأرضه؟

- لن أوقع على حبل مشنقتي!
- لك الخيار، (وقف) تذكري اما نحن او لا أحد.
- لكن الشرط غير عادل!
- انستي، لا يوجد عدل في الحب والحرب، (يلتفت) محمد لو سمحت لدي اعمال احضر الأوراق إلي بعد أن تقرر الأنسة (ويتجه إلى خارج القاعة).

الفصل الرابع

{تناقض}

هل يحصد الزارع شوكا؟

دائما ما كانت الارض تخرج ثمار بعد الزراعة او على الاقل لا تخرج شيء، دائما ما تخرج الشمس بعد المطر ويظهر احيانا قوس قزح لكن لم نرى يوما رعد وبرق بعد رحيل الغيوم السوداء، ولم يرسب طالب بعدما اجتهد، ولا يدخل الجنة شخص الا وكان عبداً صالحاً مصلياً داعياً قائماً على الخير...

لطالما كانت هي استثناء، هو الان يجعلها تشعر باستثنائها، جعلها تحصد شوكاً وفي سمائها رعداً وفي امتحانها رسوباً والى النار استسلاماً، هو يجعلها تندم على حبها وكأنه لم يكن الطرف المحب ايضاً، كأنه يغار عليها من زوجها النجاح فيقتله ولا يتزوجها بالمقابل.

يغريه كونها فاكهة طازجة على الشجرة غير مأكولة ولا ملموسة، لا يريد اقتطافها ولا يسمح لاحد بإقتطافها بل يضيف المواد الكيماوية لها لتبقى كما هي، يحرقها لتبقى كما يريد.

تقف باكية راجفة امام قرار سجنها، هل يوقع أحدهم على موته؟ هي تفعل الان! تكتب اسمها وتوقع، هي تخاف من قبول الصفقة ضعف خوفها من خسارتها لكن لا خيار امامها، ان رفضت ستكون العواقب كبيرة. لن يسمح هو ان يتم نشر اي شيء لها مع اي دار نشر اخرى ان رفضت، ولن يسمح لها ان تنشر مع غيره ان قبلت، اما النار واما الجحيم!

اقترب محمد منها وناولها منديل لمسح دموعها: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرار؟

- سامحيني ليس بيدي شيء، سأتحدث معه لكن تعرفين عقليته وعناده.
- شكرا محمد. لا داعي لذلك، لقد وقعتها وانتهى الامر عل هذا يشبع غروره قليلاً.

ناولته الاوراق ورافقها الى الباب وطلب ان يتم توصيلها الى البيت، وقبل أن تغادر السيارة أخبرها أن تنتظر مكالمته لعله يسطع أن يفعل شيئاً.

تبكي هي، ليس فقط لحكمه بل لأنها لاحظت انها لم تتمكن منه ما يتمكنه منها. كان يكره بكائها ويحرم على عينيها الحزن كان إذ شعر انها تحمل ذرة من الضيق يأخذها بين اضلاعه

حتى تهدئ. وحتى هو يشعر بالأمان، أليست من ضلعه إذا بحضنه لها هو يكتمل.

يعشق تدليل طفلته هو، يضمها إذا كانت تبكي ويثأر لها من مبكيها، يهديها الشوكولا البنية ويحرم عليها السوداء لا يرضى ان تذوق المر حتى وإن كانت شوكولا، يهديها الكثير من البالونات الملونة ويتواعد هو لها بتلوين حياتها، ثم يضع يديه على شعرها الاسود فيذوب في خصلاته.

ولا ينسى اهدائها الكتب، يريدها مثقفة واعية مؤلفة شاعرة تستطيع الغوص في بحر الكلمات واستخراج أجملها لكن تحت جناحيه، تركها ذات ليلة بطولها ولم يحادثها بسبب غيرته من رجل قرأ جملة لها وأخبرها انها رائعة.

أناني هو بها لدرجة الاستغناء عنها كان كما إسرائيل، إما لي امام الجميع وإما لي من خلفهم ورغم عنها، مبدأ الجنون ذلك يجعلها تكرهه بحبها.

تحبه هي وتريده لكن قوانينه الفيزيائية تلك معقدة على فتاة لم تدخل المدرسة قط، هل تراه استاذاً صارماً ام انه يريد تعليمها القوانين عن طريق التجربة والفعل، أهكذا يعلم الطالب يا سيدي؟ هل يضرب لحفظ القوانين ونسيانها لا لفهمها؟

كان كما المعدن صلب، ولكنها لم تكن كما الارض انما كالمجرة، جاذبية لا جمال ولمعان لا صدئ، لذا جذبت هي نظره لا هو، نفسه الذي كان يغار عليها فيجبرها على نوع ساتر من الملابس هو الان يعشق ارتدائها للفساتين، نفسه رجل القهوة يعشق الان الحليب، ونفسه عشيقها هو قاتلها!

في احدى الصباحات ستشرق الشمس من الغرب وسينتهي العالم وسوف يأتي موعد حساب كل شخص في ذلك الوقت، إلا هي، أشرقت شمسها من المغرب وبدأ حسابها على افعالها من قبل رجل لا يحق له حتى ان يحاسبها. هل يظن نفسه الرب؟ هل يحاسب العبد من العبد المقرب قبل ان يحاسب من الله؟ ان هذا رجل قد تشك انه مسلم.

كان يقسم لها دائما انه سوف يضحي بنفسه لأجلها كما يفعل الصابون لصاحبه، يذوب في سبيل نظافته، لكنه نسي ان الصابون نظيف حتى من داخله عكسه تماما!

عندما تقوم القيامة ويأخذ كل ذي حق حقه سوف نقف جميعنا لنطالب به، هل تظن ان حينها سوف يقف الشهيد ويطالب بحقه من الأرض الذي فداها بروحه؟ هل يكون أناني بحبه لنفسه أكثر من أرضه في لحظة كتلك؟

الان هي تحت قراراته، تحت سيطرته ورهن إشارته، تتوقع هي أن يحكم عليها بالأشغال الشاقة سجناً أو قد يستغلها لصالح نجاح شركاته فقط، ربما أراد هذا كله لكي يزداد شهرة وسمعة، الشخص الذي يقدم جوائز لأشخاص أكثر ينجح أكثر، كلما زادت درجة حرارة النجم وسرعته سطع أكثر.

كان ينظر للعقد اللؤلؤي، لكن لم تأته الذكريات ولا حتى القليل من اللين، ولن يكون هو الذي وجده لأنه لم يعلق على شيء ولم يلفت انتباهه سوى لثواني اذاً ليس هو وحتى انه لم يسأل اين وجدته او كيف لم يعطي أي إشارة تدل على شيء يساعدني، وعلى الاغلب محمد لا يعرف شيء فلم ينتبه ولا اظن انه يعرف قصة ضياعه، تحلل هي.

خمس سنوات مرت كما الشهب، سريع جداً لدرجة أن أحدهم قام برؤيته والآخر كان قد اختفى قبل أن يلتفت لرؤيته.

خمسة عشرة سنة على بداية وعيها للدنيا وقذارتها، حينها كانت طفلة بريئة ذات الثماني سنوات والشعر الأسود الطويل الكثيف الذي يعلق بل شيء، كان شعرها كما الغابة بكثافته وكما شلال المياه لطوله وكما المغناطيس في جاذبيه، لم تبقى فتاة في الميتم إلا وقهرت غيرة من شعرها، ولم يكن هناك ولد إلا

واحتفظ بخصلة منه، عينان كما العسل في لونهما ولمعانهما وجمالهما، تلك النقطة السوداء التي ندعوها (شيمة) وحدها تزين وجهها، لم تكن بحاجة إلا مساحيق تجميل، كانت بحاجة إلى ضوء صغير قرب عينيها لتضيء. وهل تشتعل النار دون شرار؟

كانت هداية صديقتها الوحيدة هناك، كانت تسرح شعر بيان عندما استدعوها وبيان إلى الإدارة وذلك لان أحدهم جاء ليقدم ملابس كتبرع للميتم، وعلى كل شخص الذهاب ليحصل على نصيبه، حينها كان هناك سيد يجلس على كرسي عند المالكة للميتم ومعه طفل يقارب العشر سنوات بجانبه والكثير من النساء والرجال يقومون بتوزيع الملابس على الأطفال.

كان الطفل الذي مع السيد ينظر للأطفال بتكبر لكن شعرها جذب انتباهه فلم تلتفت لثانية وهي تنظر للقميص الجديد إلا وكان هو خلفها ويلمس شعرها، فقال: جميل.

- شكراً الكل يقول هذا.
- اقصد اسمي، جميل.

كان مغروراً منذ صغره لا يقبل أن يقوم أحداً بتوجيه ضربة

بالكلام له، وانا‌ني ايضاً كيف له ان يصف جمال شيء فيجد من سبقه.

من بعدها لم تراه إلا مرة واحدة عندما بلغت عمر الخامسة عشر، كانت في ارجاء الميتم تقوم بإلقاء قصص جميلة على الأطفال الأصغر عمراً، إذ رأى ووالده ذلك المشهد وهم يدخلون بسيارتهم إلى الميتم ليتبرعوا ببعض الهدايا للأطفال، وقف بجانبها وبدأ يحكي الحكايات مقاطعاً لها، غضبت هي منه واكتشف هو موهبته في التأليف. صرخت في وجهه رغم انه كان شاباً ذو السابعة عشر إلا أن اطباعه لم تتغير.

- انت يا سيد، من سمح لك ان تقاطعني؟
- اعتقد أنه لم يقم أحداً بتفويضك لقول القصص لهم لذا يحق لي أن أشارك أيضاً ثم انني اجيدها أكثر منك.

تعترف هي انه لم يفعل ذلك غرور أو تسلط بل فعلها ليدفعها للحديث معها.

ثم سار القدر على نفس النهج، بلغت الفتاة الثامنة عشرة سنة فخرجت من القبو والجدران لتواجه العالم وحدها، لم تكن مهتمة أين سوف تبيت تلك الليلة أو ماذا سوف تأكل أو اين تذهب، كانت سعادتها برؤيتها للعالم وخروجها من الميتم الكئيب يغطي على كل تفكيرها، كما طالب الثانوية العامة

الذي يريد النجاح والتخرج ليتخلص من المدرسة وقوانينها فقط دون أن يفكر ماذا سوف يفعل بعدها.

كانت تلك لعبة القدر، لقاء فراق، لقاء فراق... إلا أن كرها بعضهم بعض.

كان يخبئ لهم الحب في طيات قصة حياتهم ويخبئ لهم الفراق ايضاً، كيف للأمية الجاهلة أن تعرف أن ذلك ال(جميل) الذي تكبر عليها والذي كان يسرق فرصتها دائما سيكون ملكها يوماً ما؟

لكنه فعلاً سارق ماهر لم يترك لها فرصة تكتمل، في يوم حصولها على ملابس جديدة سرق فرصتها في أن تنتقي أجملها بينما كان يتحدث معها ويذوب في غابات شعرها، ثم سرق فرصة إلقائها لأول مرة شيء تألفه على الأطفال بوقفته مقاطعاً ومؤلفاً لشيء جديد، وسرق فرصتها في أن تكون زوجة الكاتب جميل بفرضه قوانين صارمة، وسرق نجاحها بجائزة أفضل مؤلف بأنه قام هو بتمويلها، وها هو يحتكرها لنفسه ولشركاته ويرفض أن تكتب لغيره، هكذا يكون قد سرق كل الفرص التي كانت سوف تأتيها بعد حصولها على الجائزة.

تحكم بماضيها والأن بمستقبلها!

{رسالة إلى احمد}

لقد مرت خمس سنوات على فراقنا، لم أتوقع أن يعود إلى حياتي لتدميرها!

لقد صفعني اليوم وقام بحسم مستقبلي تحت مسمى جائزة بل صفقة عمل مدتها مدى الحياة، أتصدق هذا؟ هل هناك جائزة لمدى الحياة؟ نعم فلا شيء يغلب غرور جميل، احزر ما هي؟

الجائزة هي تعهد مني ألا أقوم بنشر أي شيء أكتبه مع غيره إلا بإذنه ويمنع منعاً باتاً من أن يتم نشر أي شيء إلا بإذن خطي منه، هل هذه جائزة يا احمد؟ اتعرف ماذا، لو رفضتها لن أنشر شيء في حياتي أنا اعرف عقله جيد من المؤكد أنه خطط لهذه الخطوة وأتفق مع دور النشر على هذا الشيء، أن لا يستجيبوا لي ابداً مقابل مبالغ من بحر أمواله وأن يفرض على التوقيع معه، (تذكري إما نحن أو لا أحد) هذا ما كان يعنيه بالضبط.

تخيل أن يحتكرك أحد لنفسه، لم يبقى سوى التنفس لي الحمد لله أنني لم أتزوجه، لقد كنت مخطئاً يا احمد، قلت لي لو تزوجته لكنت اميرة الآن. لكنني لو تزوجته لأصبحت سجينة

الان! انظر له خمس سنوات فقط واستطاع بحركة ما ان يحصد كل تعبي وكتاباتي لأجله وشركته.

صحيح، لقد التقيت بمحمد، صديق جميل الذي أخبرتك عنه، هو شريك الان مع جميل في شركته وهو نفسه بنفس أسلوب كلامه وفكاهته الزائدة ومازال لم يرتبط، انه رائع وخلوق لا اعرف لماذا حتى الان لم تناسبه فتاة لكنني اعلم لماذا لم يتزوج، انه جميل، لقد تواعدوا ذات ليلة أنهم سوف يتزوجون بنفس الشهر لكن بأسبوعين مختلفين وأن جميل من سوف يبدأ وذلك لأن محمد لم يكن يجد فتاة اما جميل كانت فتاته هي أنا.

كان لطيف معي عكس ذلك المغرور، كانا كما النار والماء أحدهم يقوم بإحراقي والأخر بكلماته يطفئني، النار ذاك نفسه الذي كان جنة لي ذات يوم، حقاً كما الكافر، سوف يدخل النار بأعماله والتي كانت في الدنيا متعته وجنته، هو يفعل هذا بي رغم أنني لم أكفر بعقائد حبه وكنت اصون رباط حبنا جيداً جداً لكنه هو من بدأ بلعب النار هذا، هو من أحرق كتبي!

هو يكرهني، يلعنني، سجنني رغم أن المظلوم هو انا، أليس هو من نجح وتركني أبكي قرب الغرفة والنار أمامي تشتعل أكثر وأكثر، كان يمكن حل المسألة بقضية سلام على الأقل حتى

استعد للحرب، أليس هذا ما تفعل الدول بين بعضها، أيشرب أحدهم البحر لأنه عطش؟

كانت خمس سنوات عجاف، لكنني لا أرى الان الخمس سنوات الحصاد، لا أرى الماء ولا أرى الثمر ولا أرى حصاد ولا حتى نبات ولو صغير، هذا الحُب اخذ الحَب واخرجه شوكاً.

أتذكر عندما قلت لك أنني من هذه اللحظة سوف أنساه، حلفت وتحلفت وأقسمت وعندما خرجت لكي اغادر شعرت ان هناك شيء ما ينقصني حينها تذكرت أنني نسيت روايته على الكرسي عندك فعدت لأخذها، عجيب كيف نسيت أنني أريد نسيانه في تلك اللحظة؟

الامر متعب يا احمد .. متعب جداً، لا أستطيع إخراجه من عقلي، اخبرتك هو ليس نزوة حب او فراغ وامتلاء هو عبارة عن اختيار عقل بكامل وعيه، لهذا جئت إليك يا احمد لتعالجني منه .. وهذه المرة إن تطلب الامر استئصال عقلي فأرجوك افعل.

أن حجم الطعنات في نفسيتي قامت بشق قلبي، قامت بإنتاج الكثير من الثقوب، فانسكب حبه وتسرب، هو من أحدث الشقوق إذا لماذا يحاسبني؟

اتعرف شيئاً، لعله...

الفصل الخامس

{بداية الامر}

ولا شيء يضاهي روعة البدايات، ليتها لا تنتهي.

الصباح المشمس الجميل مع زقزقة العصافير وجلسة مطلة على الربيع والازهار وصوت فايا يونان الذي إلى القلب يتجه، القليل من النسيم العليل ونسمات الهواء الباردة وكوب من القهوة الساخنة وهدوء تام، هذا ما يدعي صباح الخير.

كانت قهوتها قد بردت قليلاً، كيف لها أن تبقى ساخنة أمام جمالها.. الكل يبرد ويتجمد امام عينيها، جمالها سائل جداً أقل لزوجة من الدم بكثير، أن ما يؤكد ذلك هو انسكابه في الوريد منذ أول نظرة منها، أقسم لها مرة أنه لا يستطيع النوم بسبب نظرتها له قبل أن يغادر.

شعرت بضيق نفس عندما توقفت فايا عن الغناء وجاء رنين المكالمة، لا تعرف من يتصل ولا تعرف ما الموضوع لكنها منذ توقيع تلك الأوراق وهي تشك في كل حركة في حياتها، تشعر بالاغتيال كلما كانت تسترخي، تخاف دقة الباب ورنين الهاتف والرسائل، أصبح لديها هوس مخيف يدعى جميل.

نظرت للهاتف فوجدت رقم دون اسم، كأن هاتفتها فيه أسماء اصلاً، ردت على الهاتف:

- صباح الخير
- صباح الخير بيان.. انا محمد كيف حالك؟
- اوه محمد، انا بخير كيف أصبحت أنت؟
- تمام، اتصلت لأعتذر لا أستطيع أن اغير قرار جميل، وصدقيني أنه قرار لصالحك أكثر من صالحه.
- قلت هذا أيضا في صباح ثاني يوم من حرق كتبي وقلبي.
- بيان، أستطيع أن اقسم لك أن جميل يفعل كل هذا لصالحك لا لصالح نفسه فقط صدقيني لكنني لا أستطيع أن اخبرك لماذا.
- ما الجديد يا محمد، هذه المرة أيضاً لا تستطيع أن تقول.

هي تعرف أنه يفعل لمصلحتها لكنه لا يخبرها اين مصلحتها في هذه الأفعال، هي تعرف انها تستوطن قلبه رغماً عنه لكنها لا تعرف لماذا أفعاله تظهر عكس ذلك تماماً، يحبها دون اعتراف دون أفعال دون إقرار، جميعنا سوف نموت يوماً إذا ماذا ننتظر؟ هل نريد الموت حتى نفصح عن حبنا؟ أيكفينا أن نراهم من

بعيد؟ هل يكفي؟

عقلها يتجمد وقلبها يقسى كلما تذكرت تلك الليلة، يدمر تعبها ويهدم بنيانها ويحرق محصولها، لماذا فعل ذلك؟ خمس سنوات مرت وحتى الان كلما تذكرت النار التي أكلت كتبها تلعنه وتلعن معرفتها به.. تنتظر اليوم الذي سوف يبرر هو فيه، لكنها تعرف أنه محال أن يتنازل جميل عن كبريائه ويبرر لها شيئاً أو يخبرها السبب. لهذا هي يرق قلبها وتحن له ولتلك الأيام لكن مشهد الكتب المحترقة يجعلها تقسو، تمسح تلك الذكيرات وتتحول إلى مهاجم.

تهاجمه هي بدعائها عليه، فما بيد المظلوم غير الدعاء؟ تتوضأ وتلف الحجاب مرتين على رأسها، تفرش الأرض بسجادة الصلاة، تضع يديها الاثنتين على الأرض لتجعلهما نقطتي ارتكاز لجسدها ثم تضع رأسها بينهما وتسبح الله ثلاث ثم يبدأ لسانها بالدعاوي، تشكو هي لله ضعفها وقصتها والآم قلبها، فلا أحد لها سواه.

واجهته باكية: لماذا فعلت ذلك؟

- فتاة أنت لن تفهمي شيء لذا أرجوك لا تسألينني.

- ماذا؟ هل تظن ان الفتاة لا تفهم؟ أنها تفهم ضعف ما يفهمه الرجل.

- إذا تستطيعين فهم ما يجري دون أخبارك.

- كيف؟ هل لدي قوى خارقة لاختراق عقلك ومعرفة السبب!

- لا أعرف.

- أرجوك يا جميل أخبرني ما الذي يحصل، أنا اعلم أنك لا تضرني ولا تفعل شيئاً إلا لمصلحتي.

- ليس لديك أهل لن تفهمي القصة.

جرحها هو حينها الضعف، جعلها تتندم على حبها له، تندمت أنها أخبرته قصتها، حينها قررت أن تشن الحرب عليه.

- أتعايرني لأنه ليس لدي أهل؟ أكمل كلامك جميل، لأنك نزوة أهل وما أنت إلا فتاة ميتم ولم تفهمي معنى العائلة، اه يا جميل، أن هذا أخر ما توقعته منك، ليتني لم أعرفك!

- بيان.. أرجوك! لقد طلبت منك أن تغيري دار النشر حتى وأن كانوا سوف يساعدونك في التكاليف لكنك لم تستمعي إلي فاضطررت إلى ذلك.

- بهتان أرجوك، أدعى بهتان، لا اعتقد أنك تخاف على مشاعري أن ناديتني بإسمي الحقيقي أيضاً! وما بها دار الزفت؟

- ليست دار نشر حتى! ثم ماذا تقولين؟ هل جننت!

- أنت من أختار هذا يا جميل.

القصة تضح، ليس السبب الحقيقي هو عدم أخبارها الحقيقة فقط بل لأنه غبي في إيصال التلميحات، يجرحها ولا يعتذر، يخطئ لا يبرر، يقول بأفعال ما ولا يوضح، يريد منها أن تكون كما هو يريد لا كما هي الآن.

هي تقول انها عاشت ثلاث مرات وماتت ثلاث أخرى، الأولى عندما ولدت وتبرئ منها أهلها وأخذها الميتم للعناية بها، الثانية عندما تركت الميتم والحياة التي اعتادت عليها وتعرفت عليه، الثالثة عندما تركته ووصلت إلى حلمها ثم أقتحمه هو.

على هذه الأرض هناك جنسين.. الذكر والانثى، ينقسمون إلى نوعين.. الذين يعارضون الانثى والذين يؤيدونها، لكن ليس هناك شيء ضد الذكور أبداً، اما الفتاة فيعني ذلك عار حرام عيب!

أحد الشباب في محاضرة ما وقف وقال المرأة بنصف عقل وأنها لا تستطيع فهم كل شيء، فتصدته فتاة وقالت: أتعلم ماذا..

أنت محق نحن بنصف عقل! التي أنجبتك وأرضعتك وربتك وأطعمتك واعتنت بك والتي بنصف عقل نفسها التي تعود بعد سهرتك من المقهى وبعد أن تقول عنها أنها بنصف عقل إلى حضنها.. أنت محق يا سيد المرأة تنجب نصف المجتمع وتربي نصفه هي بنصف عقل الام الأخت الزوجة الابنة بنصف عقل، التي تكبت بقلبها حزنها لتخفف عنك بعد يوم عمل طويل والمرأة التي تحرم نفسها من الاكل لأجلك والمرأة التي تشاركك كل شيء وتعتبرك سندها والمرأة التي ستبكي لأنها فارقت بيتك وتزوجت وذهب الحب معها بنصف عقل! كلهن بنصف عقل يا سيدي، تخيل أنها تستطيع فعل كل هذا وهي بنصف عقل! ماذا لو كان عقلها كامل؟ ونعم هي بنصف عقل لأنها أنجبت شخصاً تافهاً مثلك، يرتمي بحضنها ليلاً وفي النهار يشتمها ويصفها بنقص العقل.

تكره المجتمع الذكوري هي، وأولهم أبيها الذي تخلى عنها والذي لم تعرفه قط ولم تراه في حياتها إلا بالأموال، كان يتبرع للميتم دائماً وذلك لتأنيب ضميره عليها، وعندما فارقت الميتم أخبرتها المسؤولة أن لديها حساب في البنك وكل شهر يمتلئ هذا الحساب بنفس المبلغ مجدداً حتى وإن لم تقم بسحب كامل المبلغ وأخبرتها أنها من أبيها لكنه لا يستطيع أن يراها

أو يجعلها تراه، والآن تكره هي جميل لتصرفاته التي لا تجد لها سبب او مبرر ثم تنكر ذلك وتعود لتقول أنها تحبه، هي لا تحبه لكنها لا تكرهه هذا هو الشعور الوحيد الذي استطاعت ان تحدده، لم يبقى سوى محمد صديقها الذي يعرف كل شيء لكنها صامت، لا يستطيع أن يكون في صفها ضد صديقه جميل ولا يستطيع ان يكون في صف جميل ضدها، هو وحده من يعلم حقائق الأشياء منها ومنه لكنها لا يستطيع ان يخبرها او يخبره.

- بيان، هل أستطيع ان التقي بك؟ هناك فتاة ما وتعرفين لا أحد غيرك يستطيع المساعدة.
- أتمنى ان تكون اخر فتاة.
- انها الأخيرة، لا اريد تعرفيك عليها فقط بل سوف تساعدينني لأنني سأتقدم لها.
- هذا رائع، حسناً ما رأيك غداً؟
- لا، بعد غد انسب لك.
- ليس لدي شيئاً غداً.
- حتى الان، انتظري سيصبح لديك شيء.

هذا يعني أن بداية الحرب سوف تبدأ غدا، اذاً اليوم هدنة، لن

يتصل بي ولن يزعجني بإحدى كلماته ولن ابكي اليوم ولن يحدث شيء خارج نطاق قوتي. لكن لن اسمع صوته ولن اراه ولن نتحدث ولن يطمئنني عنه ولن اعرف شيء عنه اليوم، كما الخمس سنوات القاتلة سيكون اليوم، تناقض هي نفسها.

قامت بتشغيل التلفاز لتشاهد فيلم ما، علها تنسى او تتناسى حتى يحين موعد الغد، لكن قناة الاخبار التي تعرض صور جميل سرقت انتباهها، فقامت برفع الصوت.. فإذا هي مقابلة معه يتحدث فيها عن حياته وكيف أصبح رجل اعمال ناجح

- كنت كما كل الأطفال يعتمد على مصروفه ويحب البرامج التلفزيونية لكنني لم انتظر يوماً الحلقة القادمة لأعرف ماذا سوف يحدث في القصة، كنت احضر ورقة وقلم واقوم بتأليف باقي الفيلم وحدي أصدقائي ومعلمتي لاحظوا انني استطيع التأليف بشكل رائع، اول مرة وقفت وألقيت شيئاً من مؤلفاتي كان في ميتم كنت شاباً في مقتبل العمر وكان هنالك فتاة تلقي للأطفال قصة فوقفت بجانبها واكملت القصة فكانت مزيج ممتع، ثم كبرت وتوفيت امي للأسف تركتني وحدي وابي، لكن قرار والدي بأن يتزوج جعلني انفصل عن العيش معه، وقمت بافتتاح محل صغير في المدينة كنت ابيع التحف والهدايا والكتب والأنتيكات والأدوات الكلاسيكية، وقررت

نشر اول رواية قمت بتأليفها بعنوان (جلسة شاطئ) وكان الكتاب ناجحاً الحمد لله بيعت أكثر من خمسة الاف نسخة في مدة ثلاثة اشهر! ثم قررت أن أتزوج حينها واستقر واستمر في التأليف لكن الأمور لم تسمح بذلك وقلت لعله خير، خلال خمس سنوات قمت بتحويل المحل إلى بيع كتب ومطبعة ثم مع الوقت تحول إلى دار نشر ثم سجلت شركتي وقمت بعمل سلسلة المالكي وهي عبارة عن شركات تقول بنشر الكتب من خلال الطباعة والتأليف وغيرها من الإصدارات، لاقت سلسلة شركاتنا نجاحاً كبيراً خصوصاً أننا دعمنا الكثير من الأنشطة والكتب وبعض المؤلفين، في اخر ظهور لنا قمنا بدعم جائزة افضل كاتب للسنة من خلال برنامج النجوم وحالياً نقدم جائزة للفائزة بطباعة ونشر أي مؤلف او كتاب لها مدفوع التكاليف من قبل شركاتنا مدى الحياة!

هل هذا ما يريد؟ أن ينجح لهذه الدرجة؟ أن يكون صاحب اسم كبير من خلال حبسي؟ المشكلة انني لن أستطيع نشر أي شيء إلا بإذنه وتوقيعه أي انني تحت اشارته، تحت اوامره هو فقط.

الفصل السادس

{روح}

تترابط الكائنات جميعها برابط يدعى الحب.

ما الحب؟ سألته يوما: الحب هو ترابط الارواح لتغدوا روح واحدة بجسد واحد، قالها الرسول (ﷺ) (مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، الحب هو ان اموت انا لكن لا تعيشي انت، الحب هو ان أمرض انا فتتألمي انت، ان اسعد انا فتضحكين انت، الحب يا انستي ان أفكر انا فتنطقي انت، ان اكل انا فتشبعي انت، ان انام انا فترتاحي انت، الحب هو ان لا اكون انا إلا بكونك انت.

والحب هو قدسية العلاقات، لا اتحدث عن شاب وفتاة فقط، بل حب الام والاب الاخ والاخت او الصديقة او الصديق، الحب ان يرجف قلبك عند ذكر اسمه حتى وان لم يعنيك الامر، ان نكون عناصر غير نبيلة ابداً، ان يذكر اسمك خلف اسمي اي يعرف ان هؤلاء واحد لا اثنان، وان تشعري بارتياح في جسدك وامان ورجفة بقربي منك، ان يَتَكون للشخص مشاعر تختلف عن الكل منفردة ولا تقبل ان يضاف لها أحد.

الحب ان انظر في دوامة عينيك فلا يرف لي رمش، وان اشتهي شيئاً لك لا لي، الحب هو الماء والعشب، الفتاة وابيها، الام وطفلها، الفراشة وزهرتها، انت ووجبة طعامك او سريرك، روميو وجولييت، قيس وليلى.

الحب ان يرجف جسدك وتبتسم شفتاك وتسعد عيناك وتلبي يداك، ان تشعر بنقص الاكسجين وينبض قلبك الضعف ضعفين ويتبادل الوريد والشريان عملهما، ان تقف او تجلس لكن لا تستطيع المشي وتتوقف قدماك، ان تجلس وحدك في غرفة مظلمة او معتمة مع ناس او بدون وتتذكر موقف او كلمة او مشهد صورته انت بعقلك، فتضحك دون وعي كالأبله.

الحب هو أن تحاط بكل الناس عداه فتشعر أنك وحيد دونه، الحب لا يأتي من القلب بل من الروح، إذا أحب القلب فهو سوف يتوقف يوماً وينتهي معه الحب، إذا أحب العقل فهو سوف يفقد الذاكرة ذات يوم وينسى، اما الروح فهي لا تموت لا تنسى، فقط تخرج وتبقى كما هي لذلك حب الروح هو الحب الذي يدوم، حب الروح هو الذي يبقى خالداً للأبد، يخرج معها يبقى حتى آخر لحظة.

ما كان حبه سوى حب تصرفات، أحب حركاتي وكلماتي

وتصرفاتي وعند أول مشكلة تركني على الطريق أتقوقع على حزني، تركني لغيره الذي كان يحرم علي غيره، هل هذا الحب الذي استغرق نصف ساعة متواصلة من الكلام؟

- صباح الخير
- صباح النور، سعيد أنك هنا دون الاتصال بك!
- لقد أخبرني محمد أن اليوم لدي مهمة فحضرت مبكراً لأنهائها مبكراً.
- لما العجلة؟ ألديك شيء؟
- اعتقد ان هذا ضمن خصوصيتي، وهو يتعلق بمحمد.
- أحببت ذلك، لسانك يطول نسبياً مع عمرك.
- وانا أحب ذلك ايضاً، على الأقل لن يقدر أحداً على أكلي مرة أخرى.

هي تتكلم ومن داخلها تتندم، هو يتكلم ويتمنى لو الارض تبتلعه، لأول مرة تخبره أن الامر يخصها، لطالما كانت خصوصياتها هي خصوصياته، هذا ما دفعه لقول كلمة أكرهك

- أعلم
- جيد

- وأنا أيضا.
- أنت؟ ماذا؟
- أكرهك.

كانت تكذب هي، وسبقها بالكذب هو، كيف له أن يقول غير ذلك! سوف ترفع رأسها حينها وسوف تتكبر عليه، سوف ترى أنها أخذت منه الكثير وانه مازال تحت سلطتها ورحمة حبها، كانت سوف تنكر كلامه لكنها لا تملك الوقت للمناقشة، تريد أن تنتهي مبكراً تعود إلى البيت تبدل ملابسها تتصل بمحمد تخطط لمساعدته في التقدم للفتاة الذي اختارها، تريد أن تكسب صداقته وأخوته لطالما ساعدها.

كانت الساعة التاسعة ليلاً حين أشتد الجدال: لن تنشريها يا بيان، ارجوك لأجلي فقط!

- هذه أنانية يا جميل، لقد نشرت كتابك لماذا تعارض كتابي؟
- بيان أرجوك! لا أعلم كيف سوف اشرح لك ذلك لكن مع الوقت سوف تتفهميني.
- لا اريد أن افهم يا جميل! أنت شخص أناني جداً ولن أسمح لك بتدمير مستقبلي وحلمي لأجل نجاح

كتابك.

- بيان! أفهميني هذه المرة انا جدي جداً!
- امنعني إن استطعت.

وغادرت، شعرت حينها بحرقة في صدري وبألم في حلقي، كنت أبكي وأمسح دموعي تلقائياً عند نزولها.

في الطريق إلى البيت اتجهت إلى الغرفة – التي اشبه بمخزن- والتي فيها الروايات، نظرت لها تنفست بعمق وسقطت إحدى الدموع سهواً، مسحتها على عجل وأقفلت الغرفة وأجهت إلى بيتي، لم أكن اعلم أنني أودعها، كنت أعلم أن جميل لن يرضى بما اريد فأنا أكثر من يعرف عناده.

عند الساعة الثالثة فجراً اتصل بي رقم غريب، رفعت سماعة الهاتف، جاء الصوت من بعيد يصرخ: أرجوك يا أنسة بسرعة إلى المخزن، أرجوك الروايات احترقت!

لم أصدق ما سمعت كنت أظنني أحلم، خرجت بملابس النوم مسرعة، لم يكن المخزن بعيد والنيران كانت واضحة جداً، قنبلة انفجرت في المكان لا حرق كتب! هرعت إلى المكان بسرعة فقاموا بعض رجال الإطفاء بمحاولة ابعادي عن النار وأنا ابكي، كنت أعلم انها احترقت لا جدوى من الدخول إلى هناك ولن

أجد ورقة بل ركام من رماد!

لا أعلم كيف أفسر هذا الشعور لكن الانسان –جميع البشرية-يقومون بالمحاولة على أشياء ميؤوس منها، كالدخول إلى النار لإنقاذ كتب، كالقفز في الماء لانتشال جثة عزيز عليهم رغم أن طواقم الدفاع تحاول دون جدوى، كالاقتراب او حضن أحدهم بعدما وقع من مكان عالي، كأننا أن استطعنا الوصول إلها سوف تعود للحياة.

كانت النار تشتعل في كافة أرجاء الغرفة او المخزن، لو كنت تقف هناك لأقسمت أن الدنيا في منتصف النهار وأننا في لهيب حر شهر تموز، كنت لا اصدق ما يحصل، ولا اعلم ماذا حصل بعدها لكنني استيقظت وانا اجلس في سيارة الإسعاف ويجلس حولي طبيب وممرضة، قالوا انني فقدت الوعي لكثرة البكاء والصراخ لكنني بحالة جيدة. ثم نادى الطبيب إلى أحد رجال الشرطة، دخل إلى سيارة الإسعاف وسألني اذ كنت أستطيع الجلوس، بعد أن جلست سألني سؤال جعل كل طاقتي تذهب: هل لديك شكوك حول شخص معين؟ أو هل تظنين أن من قام بإحراق الكتب شخصاً تعرفينه؟ هل لديك عداء مع أحد؟

شعرت أن كوكب الأرض كله يدور بسرعة ثم توقف فجأة، كنت أعلم أنه جميل لكنني لم أخبر الشرطي بذلك، لم أستطع حرقه رغم حرقي، أستغرق الامر عشر دقائق فقط، عشر دقائق كنت قد قررت أن أخمد ناري عدا شرارة صغيرة سأستعملها بعد سكب البنزين على قلبه، قررت أن أشعل بقلبه انتقاماً لبناتي الصغيرات الذي أحرقهن في ليلة ولادتهن، الشرطة والأمن لن يقوموا بشفاء غليلي ولن يستطيعوا مسح الغصة مني، لذا قررت وحدي أن احرقه.

أنكرت للشرطي كل شيء، اخبرته أنني مسالمة وليس لدي عداء مع أحد ولا اعتقد انني اعرف من قام بذلك، ثم خرجت من سيارة الإسعاف انهيت معهم كل شيء وقدموا التعازي لي وغادروا، حينها عدت أركض للبيت تناولت هاتفي وضغطت بعض الازرار واتصلت بمحمد وأنا ابكي فقدم سريعاً الى بيتي، طلبت منه أن يصحبني بسرعة إلى بيت جميل. في الطريق كان يحاول أن يفهم مني شيئاً لكني كنت أبكي وأحاول الاتصال بدار النشر حيث سألتهم إذ بالإمكان طباعة عدد مماثل قبل الساعة الرابعة عصراً لكنهم اعتذروا عن ذلك بل وتحملت التكاليف التي قاموا بمساعدتي بها لإخراج الرواية، اشتدت حينها أمطار عيني.

وصلت بيته الساعة الخامسة والنصف صباحاً، فكان يجلس على أريكته يمسك هاتفه، بحركات لا ارادية تهجمت عليه، قمت بشد قميصه وصرخت به بأعلى صوتي، كان بارداً جداً، قال جملة واحدة: أنت من قلتي امنعني إن استطعت!

- (تبكي) لماذا فعلت ذلك؟
- فتاة أنت لن تفهمي شيء لذا أرجوك لا تسأليننى.
- ماذا؟ هل تظن ان الفتاة لا تفهم؟ أنها تفهم ضعف ما يفهمه الرجل.
- إذا تستطيعين فهم ما يجري دون أخبارك.
- كيف؟ هل لدي قوى خارقة لاختراق عقلك ومعرفة السبب!
- لا أعرف.
- أرجوك يا جميل أخبرني ما الذي يحصل، أنا اعلم أنك لا تضرني ولا تفعل شيئاً إلا لمصلحتي.
- ليس لديك أهل لن تفهمي القصة.

حينها انقسم محمد إلى نصفين، هو يرى صديقه يخطئ لكنه لن يقف ضده فتلك هي الصداقة الحقيقية، ألا ترمي صديقك في المنفى حتى وإن كان يستحق ذلك، من جهة

أخرى انا، التي أصبحت صديقته ودموعها وقهرها على تعبها وحفلها الذي كان اليوم الساعة الرابعة عصراً والآن تم إلغائه ربما للأبد.

غادرت بيته بعد جدال طويل وبعد أن قمت بإنهاء علاقتي به. أن النار التي تسري في عروقي مخلوطة بالدم بدل الاكسجين جعلتني أفعل ذلك، ولولا تحكمي بها لكانت أحرقت البيت به.

أيفعل الحب ذلك؟ نعم وأكثر، يجعلك تهدأ في عز وجعك، يبرد نارك، ويجعلك تتراجع عن عدوك وتجعله صديقك إن لزم الامر. ليس الحب وحده من جعلني أخرج من بيته دون أن أفتعل شيئاً، بل عجزي والآمي وتعبي أمامه، كانت ليلة صعبة جداً لحالتي النفسية والجسدية أيضاً.

الفصل السابع

{صلحه}

أحياناً تحدث أشياء خارجة عن إرادتنا، رغم أننا نريد العكس تماماً!

قررت إحدى إدارات المذياع استئصال الاخبار من المذياع وأن يصبح ترفيهياً بدل الاخبار المملة، فضج العالم بخبر موت عجوز، يتساءل الكل لماذا مات؟ هل هذا كله بسبب حبه للأخبار؟

الجواب نعم ولا، العجوز ذلك كان يصحوا يومياً الساعة الخامسة، يتوضأ ويصلي الفجر، ثم يرتل القرآن حتى السادسة والنصف، يخرج إلى البلكونة يسقي الورود، يقتطف وردة يضعها على مخدته بجانب زوجته العجوز ويقبلها على جبينها، يحضر كرسيه والراديو ويضعهم على البلكونة، يذهب إلى المطبخ ويحضر القهوة لنفسه ويرتشف منه الرشفة الأولى ثم يرجع إلى البلكونة، يقوم بتشغيل المذياع الساعة السابعة ويستمع للأخبار ويرتشف قهوته، تنتهي نشرة الاخبار فيذهب إلى زوجته يوقظها

على صوت أنغام فيروز، تُحَضر الفطور وتجلس بجانبه على البلكونة ويتناولون افطارهم مع بعضهم البعض.

عندما توقفت نشرة الأخبار تذمر العجوز قليلاً، لم يكن يعلم أن كل روتينه سوف يتغير بتغيير بسيط، لم يعد يصلي في الخامسة بل في الثامنة أي عندما يستيقظ، لم يعد يشرب القهوة فيقول ليس هناك وقت، ومع مرور الأيام اصبح العجوز كسولاً ثم تعب فجأة، الازهار على البلكون ذبلت حتى بقي ترابها فقط، القهوة الذي يُحضِرُها صاحب الدكان اسفل بيتهم اسبوعياً لأجل العجوز أصبحت فائضاً لديهم، المذياع لم يصحوا من غفوة الدرج الذي يضعه العجوز فيه كل نهاية يوم، القرآن الذي تراكم الغبار عليه فوق الرف الصغير بجانب التلفاز القديم، ثم زوجته التي لم تعد تحصل على الورود قبل استيقاظها ولم تَعد تحضر فطور شخصين، ثم فجأة توفي العجوز.

كل ما في الامر هو الاعتياد، لم يمت العجوز من تغيير الاخبار لكن شيئاً ما قَلَب حياته رأساً على عقب، كان النشاط يأتي وفق خطة وشيء هو مُهيئ له، لذا بعد سماع إدارة المذياع قصة موت العجوز اعادوا برنامج الاخبار لكن العجوز لم يعد موجود.

- صباح الخير جمي...صباح الخير بيان! أنت هنا؟!

ابتسمت بيان: صباح الخير محمد، نعم جئت مبكراً لأنتهي مبكراً.

أما جميل شعر أن صديقه يأخذ منه من قبلها: صباح الخير محمد، اعتقد انه لا داعي أن ترد الصباح علي أليس كذلك؟

- لم اقصد تفاجأت ببيان فقط.
- لا يهم، أحتاجك على انفراد بعد أن ننتهي من العمل.
- حسناً.

الكل شعر بحرارة الغيرة من جميل، لم يتوقع احداً يوماً ان يحدث هذا، لطالما كانت الصداقة بين بيان ومحمد سعادة لجميل لكنه الان يرى شيئين، بيان تتجه لمحمد ولأنه ليس لديها أحد قد يصبح محمد الأقرب لها، ويرى محمد يتجه إلى بيان يتخذها بديل عن جميل.

لم يكن يعلم أحد ان الامر الذي لم يبدأ سوف ينتهي هنا، ولم يعلم جميل أن محمد سيبوح بكل شيء ولم تدري بيان أنها كانت في غفلة ومصيبة وتم إنقاذها.

- إذا بيان، سوف أمهلك شهر أي ثلاثين يوماً لتكتبي رواية جديدة وتسلميها لنا.
- انت تمزح؟ كيف سوف أكتبها في شهر واحد!؟ أحتاج إلى سنة.
- بل انت تمزحين، اذكر ان قدراتك اعلى من ذلك كتبتي رواية بأقل من شهر
- نعم وأحرقتها انت بأقل من ساعة.

لم تمنع نفسها من قول ذلك، كانت تريد استفزازه لتثبت نفسها وأنها أقدر واقوى، لكن محمد كان اذكى منهما واستغل الموقف، حبس القطة والفأر في مكان واحد دون مشاكل هو أصعب الأمور في هذه الحياة، لكن إن استطعت أن تضبطهما وتفهم حاجتهم ستجعلهم أصدقاء.

- أستطيع قول شيء؟ لكن دون أن يقاطعني أحد. قال محمد

صوتان: تفضل.

- منذ خمس سنوات، نجح كتاب جميل بشكل رائع، في نفس العام قبل حفل بيان بيومين جاء اتصال لهاتف جميل يخبره أن رواية بيان تحوي على خطأ ما...
- محمد!؟

- جميل دون مقاطعة، يحوي على خطأ ما وهو اسم المؤلف، أي لم يكن بيان بل كان رابح المالكي! وهو والد جميل، صاحب شركة الامل للنشر، اعلى الشركات ربحاً ومبيعاً وأكثر الشركات التي تساعد المؤلفين في اصدار رواياتهم لكن الغير معروف والذي يكشف لاحقاً انها خدعة كبيرة، يتغير الاسم خلال اخر أسبوع ودون علم الكاتب وبعد أن يحصلوا على مبيعات تذهب لشركة الامل لا للكاتب...

صرخت بيان مدهوشة: ماذا؟ ما الذي تقوله!؟

- اضطر جميل يا بيان إلى حرق الكتب، بهذه الحركة استطاع أن ينقذك ويهزم والده للمرة الأولى، حاول كثيراً أن يمنعك من ذلك مراراً وتكراراً لكنك لم تتفهمي!

- كيف لي أن افهم؟!

- حسناً، اتضح الامر الآن لذا ارجوكم يكفي مصارعة أنا تعبت من ان أكون وسيلة الاتصال بينك وبينه، (اتصل بجميل وطمئني عنه)، (اتصل ببيان واسألها ان كانت تحتاج شيء)، اعتقد أن هذا يكفي! كان يجب أن افعل هذا لذا اسف جميل لقد وعدتك الا اتحدث لكن الأمور زادت عن حدها ألم تكن الخمس سنوات كافية؟ وأسف بيان لم يكن جميل يريدك

اليوم لكنني قلت لك ذلك اما ما قاله قبل قليل عن الكتاب الجديد فلا علم لي به.

نعم بتلك البساطة، كسقوط أوراق الخريف او كسر زجاج، تستطيع حل الأمور فقط تفهم الموقف واتبع الوقت المناسب والمكان المناسب واللحظة المناسبة وحل الامر، وأنتبه من اخذ القرارات في لحظة العصبية او الحزن، هذا ما ستندم عليه لاحقاً.

- سأترككم وحدكم قليلاً لكن أرجوكم توصلوا إلى حلّ وسطي، سوف أحضر أوراق العقد، لننهي القصة سريعاً، جميل (وقام بدفع رأسه للأمام أي كن لينا).

حسم الامر أمامهم، لم يعد هنالك شيء يخفى والحرب التي كانت سوف تشتعل انتهت قبل ان تبدأ، كما اتفاقيات السلام، محمد كان عطارد وجميل الشمس وهي الأرض، يتحمل محمد عصبية الشمس الحارقة ويخفف عن الأرض ثم أوجد بينهم حلاً.

الفلسطينية يا سيدي خلقت لتعشق، لتعاند وتتمرد وتتكبر، هل يعقل أن يضع الاحتلال حاجز وجدار الفصل العنصري وتتمرد عليه وتأتي أنت تتحكم فيها وتضع جدران وتريدها أن

تصمت؟ سوف تثور عليك وعلى قلبك أن لزم الامر، سوف تطالب بحقها وبحصتها في أرض قلبك، التي تناضل وتشعل النار وتطعن بسكين ويصبح خطبيها أسير ثم يخرج ثم يعود زوجها إلى الزنزانة ثم يستشهد أبنها وتسجن بنتها ويتعذب أهلها وتسلب أرضها ووطنها وحقوقها واملاكها ويهدم بيتها ومازالت صامدة صابرة تنتظر الفرج من الله وحده، هل امرأة كهذه لا تعشق؟

اتعلم كيف؟ هي تصبر على كل هذا فكيف سوف يكون صبرها عليك؟ هي ترضى بخيمة لكن لن تخون وطنها الذي يحتويها فكيف تتوقع أن تخونك؟ هي تتخلى عن اعز ناسها كأبنها وبنتها وزوجها في سبيل وطنها وحبها له فكيف حبها لك؟ امرأة كتلك عاشت حياتها في عناء سوف ترى الكلمة الطيبة منك بيت ومسكن وثراء. اذاً خلقت هي للعشق!

- انا اسفة، لم أكن اعلم بكل هذا
- لا... انا الذي يجب ان يعتذر، لم أوضح لك شيئاً
- صحيح لماذا لم تخبرني؟
- لأنه والدي
- هل تعتقد انني لن اتفهم لو اخبرتني؟

- لا لأنك فتاة

- عدنا لتلك القصة!

لأول مرة تشعر هي أنها مخطئة وان خمس سنوات كانت حكم النفي له ظلم، هو يعتقد أن الخطأ منه لأنه لم يوضح لها حينها شيء لكنه كما كل الذكور لن يعترف بخطئه وايضاً لن يكون امامها المذنب.

كما الطفل الصغير، يرتكب الخطأ ولا يعترف، تصر هي كما الام على دفع طفلها للاعتراف بالذنب لكي تعلمه أن يقول الحقيقة مهما حصل ولكي تقرر عقوبته حسب اعترافه، عبثاً كانت تحاول، طفل متكبر لديه كبرياء حتمي يستحيل عليه الاعتراف بالذنب، سوف يقاوم هو إلا آخر نفس.

هكذا يفعل الفلسطيني في محكمة الاحتلال وتحت حكمه وبطشه وظلمه، ينكر كل ما يقال مهما حصل حتى وأن الكان الموت يقف فوق رأسه وبين أيديهم، يستحيل أن ينطق بكلمة ضد أي أحد أو ضد نفسه، يكون بالصبر يعقوباً وبالأمل يونساً وفي الاخلاق محمداً وفي للانتقام بالنجاح يوسفاً.

حلت الأمور بعقد صلحه، كان القاضي محمد ولكن المتهم والمدعي العام لا يعرفان من بعضهم البعض.

{رسالة إلى احمد}

اتعرف شيئاً، لعله يفعل لمصلحتي!

اليوم قابلته، كان وسيم جداً كما اعتدت ان اراه، بحركات صغيرة تحول الحرب إلى سلام، بالطبع محمد هو السبب الأول، اتعرف ماذا فعل؟

اتصل بي وطلب مني ان التقي به ليأخذني معه لطلب فتاة من والديها، محمد سوف يتزوج أخيراً! وأعتقد أنه لم يكسر الاتفاق بينه وبين جميل، خطط لكيفية الزواج وجميل في نفس الشهر لكن بأسبوعين مختلفين بإصلاح ذات البين...

أكمل، اخبرته أنني موافقة على الذهاب معه وليختار أي يوم يناسبه واقترحت ان يكون غدا (أي اليوم) لكنه عارضني قائلاً انه لدي أعمال غداً بسبب جميل الذي سوف يطلب مني الحضور غداً للبدء بتنفيذ العقد وتم تأجيل اللقاء لبعد غد (أي غداً)، واتصل بجميل وأخبره انني سوف اذهب غداً لشركته وطلب منه استقبالي لحين حضوره.

كانت خطته اشبه بخلط النار بالزيت وجعله ماء، كانت مستحيلة ثم تحولت إلى معقولة، تخيل كيف! أنه يصلح لأن يكون رئيساً.

عندما وصلت شركة المالكي وجدت جميل بانتظاري، كان ينوي مضايقتي حقاً، لكنه يفعل ذلك لأجلي يا احمد، هو كان يريد أن يتجنب مضايقتي له بمضايقته لي وذلك لأنه محق وأنا التي لم تكن تفهم شيئاً.

بينما كنت اتحضر للحرب جاء محمد فسمعني وجميل نتبادل الجمل القاسية، نحاول ان ننتصر على بعض بالكلام، كان يحاول ان يستنزف طاقتي ويدفعني للكتابة بسرعة، لكنني كنت عكس ذلك ورددت عليه بجملة استطعت من خلالها ان أشعل الحرب واوقفها.

محمد لم يحتمل كوننا أعداء، فكشف الحجاب عن الحقائق وأطلعني على الموضوع كله. في تلك الليلة بينما احرق جميل كتبي كان يحاول ان ينقذني وفي نفس اللحظة كان ينتصر على والده.

يغفر لي كل عمل قمت به انني كنت أجهل الحقيقة، ويغفر لجميل انه يفعل ذلك لأجلي قبل لأجله. اذ ان الروايات التي كانت من تأليفي كانت تحمل اسم والده وشركاته وكنت سوف القى بالسجن بحكم سرقة كتاباته رغم انها كتاباتي، تخيل يا احمد ان هنالك ناس تصل الى اعلى درجات الحقارة وان تسرق تعب أحدهم بل وتقوم بتزويره وتسجنه، وما منع جميل هو انه والده، كان يخجل ان يخبرني وكان يحمل في قلبه الكثير ضد

والده لكنه يبقى الاب ولا يستطيع ان يحاكمه لهذا قال لي ليس لديك اهل لن تفهمي لم يقصد الإساءة بل كان يتكلم بعفوية وانا التي لم تتفهم.

خلاصة الكلام، نحن الان تصالحنا، لم يعد هناك مشاكل، ثم قام جميل بالاعتذار مني وقبل جبيني وأخبرني انه لم ينوي ان يفعل ذلك لكنه اضطر ان يفعلها، وانا سامحته.

انت محق يا احمد، الدنيا فيها الأبيض والأسود، لا نستطيع الحكم على النقطة السوداء في الصفحة البيضاء، القليل من الاسوداد في حياتك يجعلك تعرف قيمة الابيضاض، انا وانت وجميل ومحمد والكثير من الناس نعيش حياة رائعة جميلة لكن هناك بعض الأشياء السيئة وهذا طبيعي فما قيمة الحياة التي كلها سهولة، ألن نتكاسل حينها عن فعل الأشياء الجيدة؟ على أي حال لن يكون هنالك شيء سيء في حياتنا إذا لا داعي لان نفعل أي شيء. ألن نقول هذا؟

هل لاحظت شيء؟ انا احفظ كل كلمة قلتها واكون بكامل تركيزي ووعيي عندما أكون عندك لذا اتهامك لي ان عقلي لا يكون حاضر كان خاطئاً، ان عقلي يحضر لكن قلبي قبله، انه شيء طبيعي فينا نحن الاناث، لطالما كانت عاطفتنا أكثر تأثيراً علينا من عقولنا، لهذا لا يستطيع أي أحد التلاعب بعاطفتنا لأننا نفهمها جيداً على العكس تماماً معكم، أنتم لا أحد يستطيع ان

يتلاعب بعقولكم لأنكم تفهمون عقولكم جيداً، لها خلقنا الله جنسين، لنكمل بعضنا البعض.

أتذكر عندما قلت لي ان جميل لديه حنكة رائعة وعقل مدبر وعارضتك انا بأنه اناني ولا يفكر الا في نفسه؟ كنت محق، جميل لديه من العقل ما لم يقدر أحد على هزيمته، يفكر بطريقة ويضع لها بدائل ويدرس الخصم ويتقدم بخطوة عليه، ولا يهمه ان خسر معركة صغيرة، سوف يبرر انه هو من جعل الخصم يربح، ثم يبرهن على ذلك!

حقا انا أؤمن لأول مرة بالقدر والنصيب، لقد ابعد الله عني الكثير لكنه عوضه لي بجميل، قد أكون خسرته وادعوا الله ان يكون احساسي صحيح ويكون مازال في ثنايا قلبه حبي الذي سوف افعل المستحيل لإخراجه الى النور واعادته الى طبيعته، انا احتاجه، عل محمد يستطيع مساعدتي فهو لم يخيب أملى مرة.

ربما أستطيع ان التقي بك قريباً عندما تعود من دبي، لا اعلم لماذا ذهبت وتركتني، ان على الطبيب الا يتركه مريضه حتى يتعالج، نعم اذكر أنك اخبرتني انني تعالجت بالكامل، لكنك لم توضح لي الطريقة ولا أي شيء ضمن ذلك.

سوف يحصل...

❖❖❖❖❖

الفصل الثامن

{الساعة الحمراء}

بعض الأشياء تحمل ذكرى أكثر من عقولنا وتصلح قلوبنا.

كيف تم خطبة الفتاة لمحمد فتلك قصة أخرى، وكيف تم إعادة المياه الى مجاريها فتلك نفس القصة.

استيقظت بيان على صوت رنين الهاتف: مرحباً

- صباح الخير بيان، معك محمد، اريد تذكيرك اننا ذاهبون اليوم.
- نعم نعم.
- جميل سوف يرافقنا، الديك أي مانع؟
- لا ابداً، ذلك من دواعي سروري
- حسناً اذاً الساعة الثالثة عصراً.
- سأكون بالانتظار
- اعلم لكن تعرفين جميل وتأخيره، سوف اتصل به وأخبره بذلك وسوف اصحبه الساعة الواحدة لنذهب معاً ونتناول الغداء، ولنحضر عندك قبل بساعة ونتفق، أي

اريد ان احافظ على عدم تأخيره.

- لدي اقتراح، لما لا نتغدى معاً؟ انا أقوم بدعوتك انت وجميل لبيتي وسوف نتغدى معاً ولنتفق ايضاً.
- دائما تنقذيني، الواحدة ظهراً سوف نكون في بيتك.
- بالانتظار.

كانت قد نامت على المكتب وهي تكتب رسالة احمد، ان الأشياء التي تصنع بسعادة تغمرنا الراحة والأمان فهذا ما يجعلنا نغفو.

الأمان هو الشيء الذي يأتي على القلب كما الستار، يغلفه ويحمي ما داخله، تشعر أنك في بيتك أو ممسك بيد والدك أو تنام في حضن أمك، ان تشعر انه من الان لا يوجد أي خطر في حياتك، لا عذاب ولا عداء ولا مشاكل.

كما تشعر الام العصفور عندما يطير أبنائها للمرة الأولى كان قلب بيان، سعيد ويكاد يطير فرحاً لكنه خائفاً متردداً، ربما يجيء ربما لا، ربما يعجبه اكلها كما كان دائماً ما يحبه، فمنذ موت أمه لم يأكل الطعام البيتي سوى مرة واحدة من أم محمد وباقي المرات من يديها، لكنه مغرم بطعامها ايضاً كانت دعوتها له أشبه بمكافئة، فكان يأكل حتى يشبع لم يخجل يوماً

وكانت هي سعيدة بذلك فقد تعلمت باقي الاكلات لأجله فقط، لكن هناك احتمال رفضه فمازال بينهم بعض الشرارات.

بكلتا يديها ضربت على الطاولة ودفعت جسدها لأعلى، رفعت رسالة أحمد ووضعتها داخل كتاب ورفعته على الرف بجانب الكتب، اتجهت إلى الحمام وقبضت على مقبض المياه بيدها المتراخية ادارته، تدفقت المياه تندفع من الصنبور الى يديها بعد ان بسطتهما تحتها، رشقت وجهها ثلاث وغسلت اسنانها، أخذت المشط وحركته بين خصلات شعرها الأسود كما الذي يقوم بالحراثة، مجموعة ثم مجموعة تفصل بينهما وتجعل المشط يسري بينهما، ثم اتجهت إلى الساعة الحمراء التي تدق كما قلبها، كانت الساعة الحادية عشر أي انها تملك ثلاث ساعات تقريباً لتنهي كل شيء وتحتسي الانتظار القاتل، عادت إلى المرآة وزينت عينيها بالكحل الذي كان كما السيف، ولطخت فمها باللون الأحمر، ربما هو الدم الذي اعتصرته من قلب كل من نظر إليها واغرم، ثم اتجهت إلى غرفتها اختارت فستان مميزاً يتناسب مع الغداء ويناسب الخطبة وعينيه.

اتجهت للمطبخ وارتدت مريول الطبخ كما الشيف الماهر، واسرعت بإخراج الدجاج المفرز والخضار، فكرت في طبخة تتناسب، لكنها تذكرت جميل وحبه للمقلوبة، وهي طبخة

فلسطينية ذات مذاق شهي جداً، وشرعت في تحضير الدجاج والخضار والأرز.

عندما كانت الساعة الثانية عشر وأربعين دقيقة، كان الطعام جاهزاً وبيان ايضاً، قامت بتجهيز المائدة، وعطرت الغرفة وجلست تنتظر حضورهما.

فجأة اهتز هاتفها برقم محمد، منذ رأت الرقم وشيء ما اهتز داخلها، تتخيل هي، ربما يتصل ليلغي الغداء، ماذا لو حقاً قام بإلغائها؟

ردت على عجله: مرحباً

- بيان كيف حالك؟
- بخير، هل حصل شيء؟
- نعم.. صراحة..
- توقعت، اذاً متى سنلتقي لأجل خطبتك؟
- اهدئي قليلاً، سوف نكون أمام الباب بعد قليل نريد ان نحضر باكراً بخمس دقائق.
- اوف، لا مشكلة أنا بالانتظار.

أخذت نفساً عميقاً، كانت قد فقدت الامل، انه مزاح محمد الثقيل، كان دائماً يتعمد بعض الفكاهة لجعل الأجواء مرحة

وتخفيف التوتر علي بعد أن يصعقني، دائماً كان كما النسمات الخفيفة بعد الحر، يلطف الأجواء، حقاً محظوظة هي عروسه.

بلهفة نهضت بسرعة، وقفت أمام المرآة قليلاً، ثم اسرعت إلى الباب، بجانب الساعة وقفت هي، تنبض دقات الساعة مع دقات قلبها مع دقات الباب، وقفت شامخة متوترة لا تعرف ماذا تفعل، للحظة نسيت كيفية فتح الباب.

حالة التوتر الجميلة تلك، عندما نقابل شخص نحبه لأول مرة، عندما نبقى في اخر خطوة للنجاح، او عندما تكون تلك الخطوة بعد فشل او مقابلته بعد الانفصال، ان تكتب كلمات بسبب رسالة من شخص ما، ان تكتشف تخترع تبدع تؤلف ترسم وتبرز، كالصعود اول مرة على المسرح هذا نجاحك وانتصارك وهذا ما كنت تطمح له وتريده لكنك متوتر قلق حتى وان وقفت البارحة او قبلها على المسرح لكن دون جمهور، سيبقى الامر مختلف جداً.

بحركة ادارت المقبض، فتحت الباب فأطلت الورود عليها وحاملها وصديقه.

كان وسيم جداً، يحمل باقة من الورود الحمراء لها، ينظر هو لها فتنزل عينيها هي خجلاً، تنظر هي له فينزل هو عينيه خجلاً، يتبادلون النظرات والكلمات الصامتة، والمشاعر التي

تكون كجسر واصل من القلب للقلب، ثم تبتسم هي تارة ويبتسم هو تارة أخرى، يقف محمد بينهم على الباب وهي في الداخل وجميل في الخارج، يقطع محمد اللحظات الجميلة تلك: مرحباً، انا هنا.

- اهلاً، تفضلوا للداخل ارجوكم.
- بيان، انا ارجوك ان نبعد كلمة ارجوكم، نريد تلك الجلسة الصديقية لا الرسمية!
- بالطبع!

هنا تتجمد يدها، هنا تكتمل بيان، هنا معنى التكامل، عندما مد جميل يده ليصافحها وكانت يداها بانتظاره، خمس سنوات وهذا التشابك مقطوع، يديها خلقت لتكمل يديه ويديه خلقت لتجمل يديها.

- تفضلي هذه الورود لك.
- نعم لقد تيبست قدماي وانا أقف في المحل حتى يختار المغرور جميل الورود الملائمة، انظري إلي! دقيقتين كنت قد أخترت باقة لعروسي بينما جميل اخذ عشرة دقائق كاملة وهو يختار وينسق، كأنه كان يسرح في خياله وفي اخر دقيقة تذكر الورود!

لم يكن محمد يدري أنه على حق، جميل لم يكن يفكر في الورود قط، كان فكر في بيان وكيفية إهدائها لها، كن يأخذ وقت في اختيار الورود لأنه يدرسها قبل طلبها، الورود بالنسبة لجميل كالإناث كل وردة تحتاج إلى ان تتعرف عليها وصفاتها ومن ثم تقوم باختيارها، كما العروس عليك ان تختارها جيداً.

عندما قدم لها الورود قامت بوضعها في المزهرية بجانب الساعة الحمراء، فخطفت الساعة نظره، تذكر مع كل ثانية تصدرها كل ثانية قضاها مع بيان منذ أن تعرف عليها.

في أحد الامسيات، كان جميل الشاب الجذاب الذي هو عنصر الجذب الأول لمحله الصغير، اذ تتردد الفتيات كثيراً للمحل حتى وإن كانوا لا يريدون شراء شيئاً بحجة (نحن نتفرج) الا ان الشيء الذي كانوا يتفرجون عليه هو جميل البائع الشاب الوسيم، يجلس داخل المحل المتواضع الصغير ويمسك قلماً يخط به كلمات على ورق، أدخلت إحدى الفتيات رأسها من الباب وقالت: مفتوح؟

- نعم يا انسة تفضلي.

وبسرعة أخفى القلم والورقة داخل الدرج.

- هل اساعدك يا انستي؟

- أي ساعة تقفل؟

- عفواً؟ نقفل في العاشرة ليلاً.
- مازال هناك الكثير من الوقت لكي تقفل المحل، لماذا تدفعنا لأن نشاهد ما نريد ونغادر؟ لماذا لا تدعنا نتفرج ربما نأخذ المزيد وربما نعود مراراً وتكراراً.
- أنا اسف، لم اقصد ذلك!
- اذاً دعني سوف أخذ ما أحتاج بعد ان اشاهد كل شيء، لا تقلق لن اخذ شيء دون أن ادفع ثمنه.

بكلامها ذاك دفعته إلى أن يبصر شيئاً جديداً ازاحت عن عينيه حاجزاً لم يكن يعلم بوجوده، وكذبت فقالت: لن اخذ شيء دون ان ادفع ثمنه، فقد اخذت قلبه ولم تدفع حتى الان، الدين هذا سوف يبقى عليها، إما ان ترد قلبه او تعطيه قلبها ليتنفس، ماذا تحتاج من قلبين؟

- كم ثمن هذه الساعة؟
- الحمراء؟
- هل يوجد ألوان غيرها؟
- ثمنها ستون شاقل
- لما لا تقول ستون دقيقة تساوي ستون شيقل
- ماذا؟!

- (ضحكت)، انها قصة، لا تقل إنك لا تعرفها؟!

- في الواقع .. انا حقاً لا اعرفها.

- عندما نزل الأمير ليشتري من احد الباعة الأطفال ساعة، اذ انه كان يعرض الساعات على بقعة صغيرة من الأرض، سأل الأمير الطفل عن سعر الساعة فنظر الطفل إلى الأمير وحاشيته ولباسه ففكر ان يخدعه ليكسب منه المال اذ ان رجل مثله لن يفرق مبلغ ما معه...

دقت إحدى الفتيات باب المتجر الزجاجي ودخلت، فقطعت الوصلة التي كانت في المكان، قطعت حبل تأمل فتاة حنطية بشعر اسود طويل ترتدي معطف شتوي وإحدى القبعات الفرنسية المائلة على الرأس، لا اعتقد ان قبعة بهذا الميول قد تبقى كما هي وان لا تسقط لكن جمالها الفلسطيني يجعل القبعة تتشبث بها كما الذي يقبض على كنز.

دفعت سعر الساعة وأخذتها وخرجت بعد أن أحمرت وجنتاها، لعلها خجلت من نظر الفتاة التي دخلت المحل لها وتعجبها انها كيف تقف وتضحك وتتحدث مع الشاب، ولم تكن تريد أن يحصل أي إحراج له او سمعة ما، فخرجت وتركته بالأبله ينظر اليها وفمه مفتوح وعينيه ضيقة، لعله الاعجاب او الحب من النظرة الأولى.

كان يتمنى لو يستطيع اللحاق بها، لكنه كان يؤمن بحدسه، حبل الوصال الذي كان قبل ثلاث دقائق يستحيل أن ينقطع، هناك شيء بقي بينهم عالق في الأعماق، فتاة مثلها يستحيل ان تترك قصتها معلقة هكذا وشخص مثله يستحيل أن يتعلق قلبه ونظره بشيء غير دائم، سرقت هي شيء وكانت كما النور ما بعد ظلام، ايقظت شيء ما فيه.

في اليوم التالي افتتح محله ودخل على عجلة، رتب المحل وجعل من الساعات أقرب منه، لعله بحركات سحرية صغيرة تعيد البارحة، علها تأتي وعل القصة لا تنتهي.

ما ان تجاوزت الساعة الرابعة عصراً حتى بدأ يموت الامل بداخله، فإذا بها هي الامل كله، أدخلت رأسها وقالت: مفتوح؟

- بالطبع، تفضلي
- كيف حالك؟
- اموت انتظاراً لمعرفة الخدعة الذي فعلها الطفل للأمير لكسب الأموال
- (تضحك)، حقاً؟ إذا اسمع، قام الأمير بسؤاله عن سعر الساعات، فقال له بذكاء: سوف أسئلك سؤالاً إن اجبت بصدق أعطيتها لك بنصف السعر وإن أخطأت سوف أطلب ضعفين السعر، وافق الأمير وسأله الطفل: كم دقيقة

بالساعة؟ فرح الأمير وقال: ستون دقيقة!، رد الطفل: للأسف عرفت الجواب لذلك سوف أخذ نصف السعر وهو ستون شيقل لكل دقيقة حزرتها، دفع الأمير وغادر المكان كان الأمير يحزن على الطفل الذي اخذ نصف المبلغ بسبب سؤال معروف ولأنه طفل ظن انه سؤالاً صعباً، فبعث بأحد الحراس الى الطفل ليشتري ساعة ويقوم بالإجابة على السؤال خطأ ليعطي الطفل الأموال. لكن الطفل لم يسأل الحارس بل قال انها بخمس شواقل فصعق الحارس وعاد للأمير وأخبره بالأمر، فأعجب الأمير بذكاء الطفل ومعرفته كيفية التعامل مع الطبقات المختلفة، بعث له رسالة وجعله مستشاراً له، لهذا مازحتك البارحة.

- جميل جداً
- الطفل؟
- لا، اقصد شعرك.

انزلت رأسها خجلاً، واحمرت وجنتاها وكانت تنظر اتجاه الباب، كانت تفكر في الخروج بسبب الاحراج، لكنه اعتذر منها

- لم اقصد، كنت أعنى انه جميل كما الشعر الطبيعي.
- لا مشكلة.

- اتعرفين شيء؟ لقد سمعت القصة منذ زمن لكن المشكلة انني كنت صغير ربما بسبب صغري لا أتذكر اين
- في دار الحنان للأيتام، قصتها فتاة على بعض الأطفال اليتامى وقاطعتها انت بقصه غبية.
- نعم! كيف عرفتي ذلك؟ ثم هناك جزء من النص مفقود، الفتاة كانت تكرهني وحاولت تجاهلي لذا قمت وقاطعتها بقصتي الغير غبيه.
- بل انت كنت مغرور ومازلت كذلك
- لا تقوليها! هل تلك انت؟ لا ارجوك
- للأسف

تنتشر أجواء الحديث عن الذكريات إلا ان يدخل يحدهم المحل ليشتري بعض التحف، فتخرج هي، تتخذ من المظلة سماء وتمشي تحت المطر وهو يراقبها من بعيد.

اليوم التالي، يفتح أبواب المحل ويبقى جالساً ينتظرها وهو يخط كلمات ذات عبق على الورق، تقترب الساعة الرابعة وتدق الساعات في المتجر والتي قام هو بتعيينها لتبدأ عند الرابعة بالرنين، إن الوقت يبدأ بما تحب، أدخلت رأسها من الباب: مفتوح؟

- منذ الصباح مفتوح ينتظرك
- ماذا؟
- لم اقصد شيء خاطئاً، أنها قصة! ألم تسمعي بها؟
- لا
- إذا اسمعي، كان هنالك أمير وطفل
- حقاً؟!
- نعم، لكن للأسف لم أركز في القصة جيداً، من ينظر إلى عيناك يبقى تحت التخدير.
- أتغازلني؟
- قطعاً، أبرر فقط
- إذا هي ليست قصة؟
- بلا دعيني اخبرك بها أن تجلسي واحضر لك كوب من الشاي
- لا شكراً، لا داعي لذلك
- إذاً القصة وما فيها أنه كان هنالك شاب محظوظ...

دخلت إحدى الفتيات إلى المتجر لتسأل عن أحد القطع، تقوم بيان عن الكرسي مسرعة وتهم بالخروج، ينادي هو عليها: لو سمحت، ما اسمك؟

- بهتان
- ماذا؟
- إلى لقاء

هل استيقظت يوماً وانت تلهث وشعرت أنك تسقط من مكان ما إلى مكان ما؟ كان هذا شعوره عند خروجها، كان هو نائما في ملامحها ويرى جمال الدنيا كلها، ثم فجأة وقفت وغادرت فكان يسقط حتى افاق على صوت الزبونة التي دخلت فقطعت الحلم.

جاء اليوم التالي والساعة الرابعة عصراً، كان يجلس في المحل خلف الطاولة ويمسك القلم ويخط به بشغف قاتل على الورق حين دخلت هي،

- مفتوح؟
- كما العادة
- ماذا تفعل؟
- أكتب
- إذا انت حقاً تجيد التأليف، لم تكن تحاول ازعاجي فقط
- (ضحك) لا لم أكن انوي لكنني كنت أغار من أن أحدهم يخرج موهبته وأنا لا

- هذه صفة جيدة.

فجأة تدخل فتاة أجنبية، كانت شقراء الشعر وبيضاء الجسم، ترتدي فستان وردي قصير وتضع مساحيق التجميل بشكل متقن، وتمسك في يدها اليمنى جرو صغير وفي اليسرى حقيبة يد صغيرة وتسأل عن بعض التحف غالية الثمن، يقفز هو من مكانه إليها.

كان ينظر إليها بحب، وكانت بيان تريد الخروج، تقدمت نحوه واستأذنته لتخرج فقال لها: سوف القاك غداً مع السلامة، ولم ينظر لوجها حتى، إن هذا الشعور – اقصد الإهمال ما بعد الاهتمام-يجعل شيئاً ما داخلك يتجمد، عقلك لن يتوقف عن طرح الأسئلة الغريبة: هل كنت مجرد تسلية؟ هل كنت آداه له فقط؟ هل حقاً لم أكن كافياً؟ هل لأنني شيئاً مألوفاً بينما تلك شيئاً جديداً؟ أم لأن هي تملك الأموال والجمال معاً؟

في اليوم التالي، أصبحت الساعة الخامسة والنصف ولم تأتي هي، لم يطل رأسها ولم يتدلى شعرها ولم يخرج صوتها بقول: مفتوح؟ ولا أي أثر لها.

أقفل هو المحل مبكراً، عاد للبيت، راجع نفسه وتصرفاته وتذكر الفتاة الثرية الأجنبية، لعلها تضايقت من تصرفاته، كان يضمن هو زيارتها لهذا أهملها، إن أكثر ما يجعل الفتاة

تنفر أن تكون فرصة أخرى أو خياراً أخر، هو يضمنها لذا يهملها، كل الرجال الذين يفكرون هكذا هم مخطئون فتلك الفتاة التي تضمن وجودها إن قللت ولو للحظة من قيمتها سوف تندم لأنها إن رحلت لن تعود وأقسم لن يكون لها بديل.

في يومه التالي افتتح المحل وجلس خارجاً، ترك الأوراق والقلم في الدرج ينامون وجلس ينتظر الساعة الرابعة باحر من الجمر، فإذا هي تمر من جانب المحل وتبتعد

- بهتان، أرجوك أريد أن أحادثك لدقيقتين
- حسناً لكن بسرعة، لدي أعمال
- لم تكن لديك سابقاً
- الان لدي
- اريد أن أسألك لماذا لم تحضري البارحة؟
- لماذا؟ ألم تحضر الفتاة الشقراء؟
- لقد كانت مجرد زبون.
- لقد كانت سارقة عيون وقلوب، أسمع وجودي هنا يومياً هو خطأ وأن أتخيل أشياء أيضاً خطأ، الذنب ذنبي لذا أتمنى لك التوفيق

- لا، انتظري أرجوك، أنه ليس ذنبك لكن لدي اقتراح، أريدك أن تساعديننى في المتجر

كان سعيد لغيرتها، هو الان يتأكد من مشاعرها تجاهه المماثلة لمشاعره تجاهها، كان ينظر إليها وإلى احمرار وجهها وعينين تتطاير الشرار منهما واندفاعها وسلبيتها إذ أن كل هذا كان علامات انتصاره، هي تراه شيطان حقيراً مادياً ونسونجياً وأن كل هذه العصبية هو لا يستحقها، بينما هو يراها شهية بعصابيتها كأنها طبق حلوة أضيف له القطر.

- العمل في المتجر؟
- نعم، لما لا؟ أنا احتاج إلى أحد، وما حصل البارحة هو شهوتي تجاه المال لا الفتاة، فأنا أحتاج إلى الكثير من المال
- لا تبرر فتلك حياتك، ما دخلي في الامر؟
- إذا هل انت موافقة؟ لقد جعل الأمير الطفل مستشاراً بسبب ساعة وستون دقيقة، وأنا اريدك مساعدة بسبب الساعة والستين دقيقة
- (ضحكت) أنا أعمل في التنظيف في إحدى العيادات وإن

عملت في محل كهذا سوف يكون أفضل بكثير أقبل لهذا لا لأيٍ من الأسباب الأخرى

- يسعدني هذا، إذا يمكنك البدء في الغد؟
- بالطبع

إن ما يحصل هو أنهم يتبادلون نفس الأهداف ونفس المشاعر، هي تحتاج المال وهو أيضاً، هي تحتاج إلى شريك في حياتها وهو أيضاً، هي تحبه وهو أيضاً.

جلسوا على طاولة الطعام، وضعت الاكل وتناولوه بشراهة، ثم أقترب محمد من الماء، جعل يداه تحتضن الصابون وبحركات سريعة أنتهى من غسلها، ثم تقدم جميل وأعاد حركات محمد على عجلة، اتجهوا إلى الباب حمل محمد الورود وطلب من جميل انتظار بيان حتى تنتهي بينما هو يذهب لإحضار والدته بالسيارة، لان الساعة الحمراء دقت لإخطارهم انها الثانية ظهراً، لم يتبقى سوى ساعة.

- محمد نسيت ساع...
- محمد ذهب لإحضار امه
- لقد نسي ساعته
- سوف اعطيه اياها

مد يده ليأخذها منها فارتطمت أصابعه بأصابعها خطأً مما جعل وجهها كما البندورة الحمراء.

طلبت منه الجلوس لانتظار عودته

- مازال وجهك يحمر خجلاً مني
- لا ليس كذلك، أنا لا أخجل منك
- إذا لماذا تجلسين بعيدة جداً

وقفت هي واتخذت خطوات تجاهه، كانت قدميها ترجف وقلبها، لا تخافه هي فهذه ليست المرة الأولى التي يزورها هو في البيت ويبقوا وحدهم، لطالما جاء ولطالما شعرت بالأمان بوجوده لكنها المرة الأولى ما بعد خمس سنوات.

عندما يخرج الأسير من المعتقل ويقبل أبنائه يبقى نفس الشعور؟ عندما يحتضن والدته وعندما يحتضن بناته؟ عندما يمسك يد زوجته يبقى نفس الشعور؟ سوف ترتجف هي ليس خوفاً لكنه توتر اللقاء. الذي يتعالج ويخرج من المشفى للبيت والذي دائما ما كان يدرس ويجتهد وفي الثانوية العامة ويقف يستمع للحظة النتائج، الامر الذي يحصل هو ليس لأول مرة لكنه رجفة وقشعريرة اللحظة الجميلة.

لم أصل له حتى سمعنا زامور سيارة محمد فخرجنا بسرعة كي لا نتأخر، جلسنا في الكرسي الخلفي كل منا منزوي على نفسه ينظر إلى الخارج من الشباك بينما محمد وأمه في الامام.

سألت أم محمد: ما شاء الله يا خالتي، عروستك جميلة، لم أتوقع أن يكون جميل بهذا الحظ.

- أي عروس؟
- الفتاة التي بجانبك، ما أسمك يا خالتي؟

نظر محمد من المرآة الامامية للسيارة على بيان وجميل وهم ينظرون لبعضهم بخجل

- لكنه ليس...
- (قاطعها) شكراً يا خالتي، الفضل لمحمد هو من ساعدنا حتى نتزوج...

نظرت له بيان فقام بهز رأسه للأمام، أي هذه عجوز لا نستطيع مجادلتها لا مشكلة إن ظنت هذا، لكنه لم يكن يقصد هذا كله بل قصد هي محقة ولم يفهمه سوى محمد الذي نظر له من المرآة وضحك.

{خطبة}

إبقى متجهزاً فكل شيء راحل.

يوماً ما سوف يكون القدر جميلاً جداً، سوف يكون كل شيء مثالياً، هذا فخ إحذر منه فمقابله سوف تدفع الثمن غالياً، حتى في القرآن ذكر أن أحسن الأشخاص معاملة لنا سيكون الأعور الدجال.

في طريق العودة من خطبة محمد كان الجو هادئ والسماء سوداء مليئة بالنجوم، وكانت بيان تلتحف ذراعي جميل، أوصلها إلى البيت وعرضت عليه كوب من القهوة ولم يمانع،

- كانت عروسه جميلة
- ليست بجمال عروسي
- حقاً؟ هل سوف تتزوج أنت أيضاً؟

قالت هذا وفي قلبها غصة، كانت تحضر القهوة في المطبخ بينما هو يقف عند الباب الزجاجي

- نعم، تتذكرين عندما اتفقت ومحمد أننا سوف نتزوج في نفس الشهر لكن بأسبوعين مختلفين؟ الأسبوع القادم خطبتي

- مبارك
- لك ولي

عندما قال هذا التفت له بسرعة، كانت لا تصدق ما يقوله، انسكبت القهوة من الوعاء على يدها وأحرقتها، ذهب جميل مسرعاً إلى غرفتها وأحضر معجون الدواء للحروق وأخذ يضع على يدها وهو يصرخ فيها لما فعلت، لكنها كانت سعيدة لم تركز في القهوة أو الحرق أو أيٍ من الصراخ والكلام كانت تتخيل زفافها، أخيراً فتاة مثلها لم تكن يوماً تظن أنها سوف تتزوج، لكن جميل كان دائماً ما يحقق أحلامها.

عندما بدأت العمل في المحل عنده لمساعدته زاد المشتريين لأنهم وجدوا طرق جديدة للتسويق من خلال بيان، في أحد الايام سألها أحدهم: ما اسمك؟ فقام جميل مسرعاً وأتجه إليهم قبل أن تقول وقال بيان، كانت تنظر إليه بدهشة لما قال وعندما رحل الزبون سألته: بيان؟

- نعم
- لماذا؟ هذا اسم أحد مقرب لك؟
- أمي، لكنه يتناسب معك، بهتان بيان، نفس الشيء
- (احتضنته) شكراً

كانت قد أخبرته بقصتها سابقاً منذ أول أيام العمل، حين سألها: ما معنى بهتان؟

– الشيء الباهت، الشيء الذي ليس له لون، الشيء الذي أخذت منه الشمس ما أخذت، لنفترض لديك بنطالاً تحبه وكان في الشمس لأشهر ألن يذهب لونه عنه؟ الشيء السيء الذي لا يحبه أحد، دعتني أمي بهتان لأنها لم تكن تريدني وعند ولادتي توفيت، أعني أن جدي هو من قام بتسميتي في الأوراق لكنه الاسم الذي رغبته أمي فقد كنت عبئاً كبيراً عليها، أبي هو شخص حقير أعتدى على أمي ذات يوم بينما كانت تنام وعائلتها في البراري بسبب الحرب وقصف الاحتلال لبيتهم، حاولت أن ترفع قضية لكن الأشخاص الفقراء هم الأضعف في هذا العالم، ولم تكن تعلم بحملها أعتقد أن الفقر هو السبب لذا عرفت في وقت متأخر ووضعتني بعد مدة حيث لم أكمل شهري السابع ثم ماتت، لذا اسمتني بهتان! أبي لا أعرف من هو حتى لكن جدي قام بإسداء خدمة لي حين قام بوضعي أمام ميتم مع رسالة التفاصيل هذه، لكنني حتى في الميتم كنت بهتان لهم فلم أكن يتيمة مثل باقي الأطفال مما جعل الناس يرفضون تبني فتاة مثلي، لم يكن لي سوى صديقة هناك نتعلم القراءة والكتابة معاً، ثم خرجت من الميتم بحثت عن عمل لم أجد سوى

التنظيف فلم يقبل أحد ولم يقبلني معهد أو أي مكان، تخيل أن يعاقبك العالم ينبذك ويكرهك وبعاديك بسبب شيء لم يكن ذنبك! (مسحت دمعة تسربت سرقة إلى خدها)

– (احتضنها) لكن سوف يكون لديك زوج وأطفال وعائلة، أنا أعدك.

لكنه نفسه الذي ألقى بها عند أول مشكلة كبيرة واجهتهم، وأحرق كتبها وقلبها، كيف تثق بما قاله الان؟ ربما يعود إلى اختلاق فعل سيء أخر، تشب النار في قلبها مرة أخرى، ويلقيها مرة أخرى.

– هل يعجبك بيان؟ سأكون سعيداً إن وافقت فأنا أحب أمي أريد الزواج من فتاة بنفس الاسم

– نعم، أحببته

سر ما، هناك سر فيه، كيف يجعلك تفعل الشيء له لأنه يرديه وبنفس الوقت يقنع أنه لمصلحته، كاسم اسمه وحرق الكتب، هناك صفات شيطانية تختفي خلفه، يقول الرجال أن ابليس يتعلم من المرأة لكن لم يقل أحدهم أن بداخل كل شخص فيهم واحد مصغر، يستطيع أقناعك بأشياء أنت لم تفكري فيها أصلاً.

انا لست ضد الرجال، لكنني ضد النوع الشيطاني منهم – والحمد لله أنها فئة قليلة-الذين يرون في الفتاة خادمة، يريدونها لعمل البيت ولإرضائهم ولحياتهم ولتسليتهم ولإطاعة أوامرهم لكن لا أحد يفكر فيها كبشر، هي أيضاً لديها حياتها تريد أن تعيشها، أن تحقق أحلامها وتصعد سلم النجاح وان تصبح شيء ما في المجتمع لا مجرد المدام فلان او ام فلان او زوجة فلان، هي أيضاً عنصر وتدعى باسمها (بيان على سبيل المثال).

قرأت ذات يوم عبارة أيقظت تعطشي لأحلامي (أدرسي وأجتهدي وحققي أحلامك حتى تصلي لذلك اليوم الذي يُسأل فيه أبنك في عمله عنك، كوني أنت الواسطة).

شرب قهوته وأتجه خارجاً مودعاً لها، وتمنى لها ليلة سعيدة وعاد إلى بيته سعيد، بينما هي كانت تقفز فرحاً ماذا تريد أكثر من شخص يراك عالمه ويريدك في عالمه ولا يرى عالمه دونك؟ جعلها تغني وتركض في البيت فرحه ولم تنم هذه الليلة.

السعادة التي نحصل عليها مقابل لا شيء وحدها تستحق أن تدعى سعادة، أن تخرج في نزهة أن تذهب للألعاب أن تحضر فيلم أن تأخذ إجازة أن تنام ضعف ساعات نومك أن تطهو طعام لك أن تشتري هديه لنفسك، أن تقع في الحب مثلاً، هذا كله

إن كان بنفسك أو بواسطة شخص يحبك ويريد المقابل ابتسامتك فهو كفيل بتعديل المزاج ليوم كامل وأكثر.

أن الفكرة تبدأ بابتعادك عن الأشخاص السلبيين والتعليقات السلبية، نحن نقوم بإزالة النبات الضار من حول الاشجر والشجيرات والنباتات حتى نحصل على نبتة صحية منتجة أكثر وذات رائحة أو منظر أو طعم أجمل، لهذا ابدأ بالتخلص من الأعشاب الضارة من حولك سواء بتعليقات أو كلمات أو ذكريات وأشخاص أن تطلب الامر، فهذه الخطوة الأولى للصعود على أحلامك أو الحصول على حياة جيدة ورفاهية.

ثم نسقي الشجرة بالماء المعتدل، أجعل الأفكار الإيجابية تجتاح حياتك من كل الجهات، ضع الأفكار والناس والتعليقات والكلمات الجميلة كلها في حياتك وأحلامك، غذي نفسك بتلك الأشياء فهي مفيدة للصحة ومفيدة للحلم ومفيدة لحياة جيدة، أحصل عليها بأي طريقة حتى وأن صنعتها بنفسك، لكن تجنب الكثير والافراط فيها فهذا قد يؤدي إلى التكبر، كن حذراً، تكلم وأسمع وأصنع لكن دون المبالغة للكذب ودون المبالغة للتكبر.

الخطوة الأخيرة، ضع النباتات في الشمس، الشمس جيدة دائماً فهي تعطي الضوء والدفء والتي تساعد النباتات على النمو، قم بإشهار عملك، أخرجه للعالم أجعلهم ينتقدونه يحبونه يستعملونه يستفيدون منه ويطرحون أفكار عنه، لكن كن جاهزاً لأسئلتهم وانتقاداتهم، عليك أن تعلم كل شيء يدور حوله وكل ما يريدون معرفته عنه.

في اليوم التالي لم تجد ما يدفعها للحديث معه، كانت تريد مقابلته أو سماع صوته أو رؤيته من بعيد، كما مدمني المخدرات شيئاً ما يحكها في قلبها يريده بأي طريقة وبأي مقابل.

وفجأة يتصل بها، يتحدث معها ويخبرها أنه يريد اصطحابها عند الساعة الثانية للغداء ثم سوف يلتقي بمحمد وعروسته لارا ويذهبون للتسوق وللسينما ويعيدها إلى بيتها، ولم تستطع أن ترفض أبداً، نظرت إلى الساعة فإذا هي الحادية عشر صباحاً.

{رسالة إلى أحمد}

سوف يحصل شيء لا محال!

لقد تمت البارحة خطبت محمد، كان وسيم جداً وعروسه لارا كانت رائعة هذه المرة أنا متأكدة انه سوف يتوفق باختياره، لطالما عرف الكثير من الفتيات لكن لم يكن هناك أي فتاة تفهمه كما لارا، لم يترك صفة جيدة الا وأخبرني أنها بها، سعيدة لأجله جداً.

واحزر ماذا؟ سوف تتم خطبتي وجميل! هذه المرة لا يوجد مزاح، لقد وضعت ثقتي به ولن يكسرها، هو سوف يتزوجني الأسبوع القادم كما أتفق ومحمد، سعيدة جداً أقسم أنني أحياناً أشعر أنني سوف اطير.

ليتك هنا يا أحمد، اشتقت للجلوس في مكتبك على الكرسي الأسود المنفوخ بجانب مكتبة الكتب وأن أتحدث كثيراً دون خوف وأن تشاركني كل مشاعري التافهة تلك، وأتمنى أن تحضر زفافي، ليتك تترك دبي تلك وتعود.

اعلم سوف تسألني كيف يعاملني جميل الان، جميل أصبح أدماني لا أستطيع أن أعيش يوم دونه، أعلم لن يعجبك الامر، لطالما قلت لي أبتعدي عن ادمان الأشخاص لأنه اسوء أنواع

المخدرات، يجعلك تتخبط وتكره الحياة بما فيها وتكره نفسك وتحاول قتل نفسك بنفسك، لكنني مغرمة به.. أنا مغرمة بقاتلي يا أحمد.

أتتذكر لماذا جئت إليك أصلاً؟ جئت بسبب جميل أتذكر أنني ليلة حرق كتبي وإلغاء حفلي لم أنم وأنا ابكي وحدي في بيتي، حينها بينما جاءت إحدى إشعارات الفيس بوك على هاتفي وفتحته ولم يكن مهماً لكنني وجدت اعلان لعيادتك وفتحته ودونته، في اليوم التالي اتجهت لك، حينها أخبرتك عنه وأنا أبكي واخبرتك قصتي المثيرة للشفقة تلك وقلت لي أنني فتاة اللانهاية؟ أنت للمرة الأولى لست محق، هناك نهاية أخيراً سوف أتزوج وأنجب الأطفال وأعيش في بيتي سوف أقوم بتأليف الكتب وجميل أيضاً وسوف نعمل معاً لتطوير شركات المالكي، سوف أنهي حياتي معه لا وحدي كما قلت لي، لن أكمل حياتي كما اتفقت معك أنا اسفة، لن أعيش حياتي فقط بتأليف الكتب والعمل عليها وتحدي جميل والصمود عندما يتزوج بل سأكون أنا الزوجة.

سوف أبعث لك مع هذه الرسالة بطاقة دعوة، حاول الحضور أرجوك، حقاً أشتاق الشاي بالنعنع والكعك في الصباح، اختياري لكتاب من مكتبتك، استلقائي على السرير المخصص

للزوار وقراءته بشغف، وإلى اللعب ببعض الأشياء الموجودة لديك في المكتب، أشتاق إلى التسوق معك ومع زوجتك لشراء بعض الأغراض المنزلية والمكتبية، وأن نحضر بعض الزجاج ندخل إلى الغرفة السوداء تلك ونقوم بتحطيمه إلى فتات، أن أقوم بري الورود على الشباك، أن أحدق في عيني دب الباندا الصغير اللعبة، وأن أحتضر السيد لاو ذلك القط الشقي، أشتاق للساعة المتربعة فوق المكتب، أشتاق إلى أن نصرخ في الغرفة السوداء بأعلى صوت وإلى كوب الماء الصحي النقي الذي قمت بأوجاع رأسي بضرورة شربه.

اليوم سوف اذهب مع جميل لتناول الغداء ثم سوف نلاقي محمد وعروسه سوف نتسوق وبعدا إلى السينما مباشرة لمشاهدة فيلم وسوف يقوم هو بتوصيلي للبيت، أنا اعلم هو لن يرحل قبل شرب فنجان قهوته المسائية في بيتي، لقد أعتاد الامر. أفكر في شراء الكثير منها بعد الزواج لأنه لن يكون هناك حجة لتحضيرها كل مساء.

أتمنى فقط لو...

الفصل التاسع {الهدوء}

تنقلب حياتك رأساً على عقب فقط بفعل شخص واحد.

دق جرس الباب فتحته، فإذا بباقة ورود جديدة بنفسجية تدخل قبله، تعشق هي طريقته في استقبالها وارضائها، دائماً يجعل الورود يهمه ابتسامتها التي ترتسم حالما تراه.

عندما خرجت من الباب وجدت محمد ولارا والسيارة بانتظارهم، كانوا جميعاً كأنهم يجلسون على غيمة، محمد ولارا في الخلف وجميل وبيان في الامام والسماء تحتضنهم، لأول مرة بعد خمس سنوات يعودون ليلتقوا اربعتهم، لارا هي صديقة محمد منذ الطفولة، لم يتوقع أحد خطبتهم إذ أنها كانت صديقة فقط ولطالما شهدت على علاقاته الكثيرة.

أخبرها بتغيير الخطة، أن محمد ولارا سوف يرافقونهم للغداء والتسوق وبعدها سوف يذهبون للسينما، لم تعارض فهي تحب لارا وصحبة محمد.

كما تزهر الورود كانت هي، حبه كما الماء يرويها فتتفتح، كانت سنوات الحزن تلك لأنه اقتلع إحدى النباتات الضارة من عندما والتي ظنتها صديقة ولم تكن سوى قاتلة.

احياناً تقلب حياتك رأساً على عقب بسبب شخص واحد فقط، تشعر أن وجوده هو الحياة وغيابه هو اللاحياة، تشعر أن كل حركة في حياتك مربوطة به، سعادتك لديها معنى واحد وهو وجوده معك، تراه في ابتسامتك عندما يذكر اسمه امامك، تراه في خجلك عندما يقول أحد شيئاً او كلمة انت تحفظها له، تراه في حركات وعادات له انت تفعلها، تجد نفسك مختلف عما كنت، اطباعك تصبح اطباعه، كلماتك هي كلماته، تشعر أنكم فعلاً واحد.

احياناً يأتيك القدر ببعض المفاجآت، أما ان تكون اختبارات وأما أن تكون هدايا، وغالبا ما تكون تلك المفاجآت أشخاص، أشخاص رائعين وأشخاص سيئين، الرائع هو الهدية تشبث به جيداً أما السيئين حاول التخلص منهم، أبتعد عنهم، اصرخ في وجهم وقل: هذه حياتي وأنا من يقرر من يبقى.

كما يعود الانسان بعد يوم طويل متعب إلى فراشه، وكما يعود المريض إلى بيته بعد أعوام في المشفى، وكما يستنشق المغترب أول نسمات هواء في بلده، وكما حضن الاب بعد حادث سير، الطمأنينة تلك هي وحدها من تعيدنا إلى شيء ما داخلنا فقدناه لفترة وكنا نظن عودته مستحيل فتحقق.

ذات يوم سمعت إحدى المعلمات تقول لطلابها الذين ظنوا أن حل مسألة ما مستحيل: لا يوجد ما يسمى المستحيل كان قديماً كل شيئاً ممكناً، هنالك صعوبة لكن لا للاستحالة، جميعنا سوف نفشل وجميعنا سوف ننكسر لكن البعض فقط من سوف ينهض والبعض فقط من سوف يعيش، دائماً أعمل على أن تكون أنت واحد منهم وإن استطعت أن تكون قائدهم فلا تقصر، كلمة مستحيل هؤلاء الفشلة الذين استسلموا من أول سقوط لم ينهضوا هم من اخترعوها لكن هذا لا يعني أن نتبعها، دائماً حاول أن تنهض بعد وقوعك، إذ رأيت الأشخاص لا ينهضون إياك أن تقول أنا وحدي، تميز أختلف كن عنصراً منفرداً غداً جميعهم سوف يلتفون حولك يطلبون منك أن تعلمهم كيف يكونوا مثلك، كل ما ذهب في حياتك سوف يعود لك وأفضل.

لحظة انتصارها أمام عينيها، لم تكن جائزة أفضل كاتب حلمها ولا هدفها في الأصل، كان هو وجائزة قلبه، هي الان تفوز بقلبه وبه وبحياته، الان فقط هي تشعر بالفخر، ذلك الشعور حتى بوقفتها على المسرح ورفعها الجائزة لم تشعر به، لم يكن حفل توقيع كتابها ولا العائد الذي يأتي منه كافٍ لها، دائماً ما كان هناك شيء ينقصها ولكن اليوم كل نقص قد امتلاء.

أخيراً انطق لسان جميل جملة: هل اخترتم مطعم معين؟

- لا، يمكنك أخذنا إلى أي مكانٍ تريده، لكن ليس الل...

- لا تقلق سوف ادفع، لن احرجك امام خطيبتك وأقول إنك لا تملك الأموال (وضحك)

ثم ضجت السيارة بصوت الضحكات.

- هل يمكنني أن أسألك شيء؟

- بالطبع

- أين وجدتي عقدك اللؤلؤي؟

- أحدهم وجده وأرسله لي مع أحد الأشخاص في ساعة متأخرة حيث ظن أنني مستيقظة، لم أفتح الباب فترك الشخص العقد.

- حقاً؟

- كأنك لا تعرف؟

ابتسم هو وابتسمت هي،

- شكراً

- أسف لأنني سرقته في تلك الليلة

- لماذا فعلت ذلك؟

- سوف أخبرك لاحقاً.

كان لديه ضحكة رائعة لكنها بنصف جمال ضحكتها، كانوا كما قطع لعبة البازل، خلق كل منهم ليكمل الاخر، كل فيه جزء ناقص ونقصه لدى الاخر والأخر يحتوي على جزء خاص زائد ليكمل الاخر، ألم يكتب الله لكل رجل امرأة من ضلعه؟

بعد أن أنهوا وجبة الغداء أحضر النادل وردة وقدمها لبيان، أخبرها أنها من جميل لكنه خجل تقديمها لها أمام محمد وخطيبته، دائماً ما يغرقها بالورود والمفاجآت كأنها بستان وهو يقوم بتلونيه بالورود بشكل مفاجئ يجعلها تفرح أكثر، غريب هو كيف يدخل إلى حياة الشخص وكيف يجعله بلحظة صغيرة يكرهه وبلحظة صغيرة يجعله عاشق له، كما السيف هو إما يساعدك في المعركة وإما ينقلب ضدك فيقتلك.

أعلم ان البعض يعارضني، لكننا لا نستطيع تفسير بعض الأشياء على أنها جريمة مقصودة، سندريلا لم تتعمد أن توقع الحذاء ولم تكن تعلم أن الأمير سوف يجدها من خلال الحذاء، والاميرة ميريدا لم تكن تنوي أن تعصي أوامر أمها لكنها جبرت على ذلك، لهذا نحن لا نفسر بعض الأشياء كما نرى ظاهرها

علينا أن نفهم باطنها ونحللها لنصل إلى المغزى والمعنى الحقيقي.

كما تذوب الشوكولا كانت هي، صلبة لكن عند أول كلمة دافئة تذوب فتصبح هشة وذائبة وطرية جداً، هكذا هم الفتيات، تبدو صلبة جامدة وقوية لكنها بكلمة جميلة رقيقة تجعل منها رقيقة جداً، حكم عليها أن تبدو صلبة لان مجتمعها يعتقد كونها رقيقة يعني ضعيفة، لكنها تصبح رقيقة عندما تشعر بالأمان، يستحيل أن تراها رقيقة عندما تقول كلمة صلبة وجارحة، الشوكولا إن تعرضت للسكين تقطع، وهي كذلك سوف تقطع وتقطعك معها، إن تحولت إلى وحش فلا تلم إلا نفسك.

كان جميل النار الهادئة وهي الشوكولا الرقيقة.

كان هو يهتم بالتفاصيل أكثر منها رغم أن العادة المرأة تهتم أكثر من الرجل، كاهتمامها بنبرة صوته بالكلام، بإهدائها هدايا بسيطة وأن يتذكر أهم المناسبات والاعياد الخاصة بها، أن يحفظ كل ما يخصها. لكنه كان فريد يهتم هو بكل التفاصيل الذي يعرف بأهميتها عنده، كالورود وأكلة ما وحضن صغير.

أنتهى اليوم وعادوا ليلاً، اقترحوا توصيل بيان وأن يبقى جميل عندها بينما يذهب محمد ويوصل لارا ثم يعود ليأخذ جميل ويعودوا إلى بيوتهم.

كان ذلك حلاً مريضاً للجميع، نزل جميل وبيان إلى بيتها، واقترحت أن يبقوا في الخارج إذ أن الجو لطيف، فوافق جميل وجلسوا خارجاً يراقبون لمعان نجوم الليل، كانت تلك ليست المرة الأولى، كثيراً ما جلسوا قديماً معاً يراقبون النجوم لكنهم كانوا لبعض أقرب، كانت في ذلك الوقت تجلس بجانبه وتطوقها يداه.

هذه هي الحياة، تدور بك بطريقة غريبة، كل ما كان قريب منك يصبح لا حق لك به، وكلما تقربت منه من جديد شعرت بألم في صدرك، فكيف يصبح أهم الأشياء وأجملها وأكثرها امتلاكاً لك خارج إرادتك واملاكك؟ وكيف سوف تشعر عندما تعاد اللحظات بحذافيرها أمامك ولكنك لن تون طرف فيها ويعاد المشهد دونك؟

إذا امتلكت شيء ما حاول أن تتمسك به جيداً، حاول أن تحافظ عليه وتحفظه جيداً ثم خبئه جيداً لان الناس تحسك على أقل شيء، أحبه وأستمتع به جيداً، لكيلا تخسره يوماً ما، وإن خسرته حاول الابتعاد عنه، أبتعد بقدر كافي فمقدار بعدك

سوف يحفظك من الوجع، أمسح كل ما يتعلق به ولا تحاول أن تعيد اللحظات، كن قوياً وتناسى.

وابتعد عن الناس التي لا تعطيك الذكيرات، عليك بهذه الحياة بكل قواك، أجمع أكبر عدد من الذكريات لأنها سوف ترافقك في سن الستين، وحدها ستبقى لذا اجمع عدد كبير، أدفع كل من يمر بحياتك أن يخلق ولو ذكرى واحدة له معك، ثم قم وأجعل من شيء يخصك ذكرى بحياتهم يتذكرونها دائماً، حاول جعل الذكيرات التي منك للأخر جميلة جداً وإن لم تستطع أجعلها مؤلمة جداً لا تكن من أصحاب الذكيرات العادية بل كن من الذين يذكر اسمهم فيشتعل نوراً بذاكرتهم.

طلب منها أن يمشون قليلاً بحجة أن قدماه تيبست من الجلوس، لكنه فعلياً كان يحاول كسر حاجز الصمت الذي دام طول دقائق تأمل النجوم والسماء، لم يكن هنالك أي أثر للقمر لعله يخاف أن يظهر بينما قمر أخر على الأرض يستطع.

ما أن بدأوا بالمشي حتى أوقعت عقدها اللؤلؤي أرضاً، فإذا بجميل ينحني ويلتقطه ويعيده إلى رقبتها، وقال ممازحاً إياها:

كم مرة سوف توقعينه وألتقطه؟

- (ضحكت) أعتقد أن هناك مشكلة

- نعم أن القفل الخاص بالعقد مكسور علينا إصلاحه حتى لا يضيع

- أقصد مشكلة أخرى، ألن تخبرني كيف وجدته؟ لقد كنا نبحث معاً عنه تلك الليلة؟

- سأخبرك لكن لا تنزعجي، لقد وجدته تلك الليلة قبل أن تفقدينه، وخبأته في جيبي الصغير ثم تظاهرت بعدم معرفتي بمكانه وبحثت معك عنه.

- لقد كنت منزعجة جداً عندما فقدته تلك الليلة! كيف استطعت تركي منزعجة لأجل مزحة كتلك؟

- ماذا عن انزعاجي وغيرتي أن شيئاً أخر يحمل عطرك ويحتضنك؟

- (انزلت رأسها خجلاً) هل كنت تنوي أعادته؟

- ليس قبل أن يجف عطرك عنه، أنه يشاركني أشيائي المفضلة.

كانت خجلة من كلامه، يغازلها هو بطريقة أو بأخرى، يغار من كل ما يقترب إليها أكثر منه، ولا مشكلة إن تضايقت قليلاً مقابل أن تبقى له وحده، أنه أناني حتى بها، لطالما تحسس من العملاء في المحل الصغير وتعاملهم معه، فطالب باللباس الساتر

لها، وعندما ذهبوا إلى أحد المحلات لتشتري فستاناً جديداً برفقته، دخلت لقياس الفستان وعندما خرجت أخبرها العامل أنه جميل ومتناسق مع جسدها لدفعها لشرائه، لكنه لم يحتمل هذا المنطق أبداً، ما إن بدلت ملابسها حتى أمسك يدها وخرج بها إلى السيارة ثم اشتعلت نيران غيرته لدرجة أنه صرخ بها ومنعها منذ ذلك اليوم بشراء أي فستان وعلى أن يتولى هو هذه المهمة.

كانت ليلة جميلة، لعلها كانت تحتاج إلى جرعات من كلامه حتى تستمر، كل منا عندما يحب أحداً ينقسم قلبه إلى قسمين، أحدهم للأكسجين والآخر لصوت ورائحة ورؤية من يحب، عجيب قلبنا كيف يتسع لهذا كله؟

قرأت ذات يوم مقولة تقول: أن الانسان عندما يستمع لكلمات جميلة تتغير هرمونات جسده إيجابياً بل كامل جسده يصاب بالنشاط والسعادة، في تلك اللحظة بالذات بادر إلى ذهني أنه من كلمات يصبح هكذا، فما بالك إن وقع بالحب؟

غادر هو ومحمد في السيارة وبقي قميصه الذي على أكتافها يغمرها بسعادة لباقي الليلة.

الفصل العاشر

{إشارات القدر}

دائماً ما تأتينا إشارات واشياء لشيء ما سوف يحصلن اتبعها!

خلق الله الليل هادئ ليس من فراغ، بل لأنه يعلم أن كل شخص يحتاج إلى تفكير وراحة وخطط أو دراسة وعمل يحب عمله بالهدوء بعيداً عن ازدحام الحياة بالناس والمشاكل والطقس والكلمات السلبية والفوضى والضجيج، مجرد راحة وهدوء تام، بإمكانك أن تفعل أي شيء في الليل لكن إذا أردت أن تتوفق صلي ركعتين قبله ثم أبدع بالإنجاز.

كانت ليلة طويلة دون نوم، كانت بيان سعيدة بأن كل ما خططت له لم يذهب سدى، خططها القديمة عادت لتتحقق، كل ما زاد على الخطة هو نجاحها هذا، أما جميل فكان قد وقع في العشق مرة أخرى لنفس الفتاة، هل يحدث؟

يحدث، كثيراً ما نقع في حب الشخص عدة مرات، عندما نحادثه ونجد أننا نريد التعبير عن حبنا كثيراً لكننا لا نعرف كيف مثلاً، أن تشعر أن قلبك يدق ألف مرة كلما أمسك يدك، أن تصحوا على صوته مثلاً، أن تجد الكل ينظر إليك

عندما يذكر هو، هذا كله وأكثر يجعلنا نحب الشخص ألف مرة، نعشقه في كل موقف مرة أخرى، فما بالك عندما تنفصل عنه لمدة ما ثم تعود إليه عاشقاً وتزداد عشقاً؟

كان لا بد أن تتصل به في اليوم التالي، أنه الإدمان، لا تستطيع تحمل فكرة أن يمر يوم كامل دون محادثته، اتصلت به: مرحباً

- اهلاً بيان، كيف حالك؟
- لست بخير اطلاقاً
- ما الذي يحدث؟ لماذا؟
- جميل أنا لا أستطيع أن أبقى في البيت هكذا، لست معتادة على الامر.
- ما الذي يمنعك من الخروج؟
- أنت، ولا اقصد الخروج خارج حدود هذه الحيطان فقط
- بيان أنا لا أفهم أشرحي لي ما قصدك؟
- وقعت على عقد، أتذكر؟ أنا لا أستطيع ان أبقى في البيت أريد أن أعمل، عقدك ذاك لا يجعلني أعمل ولا يسمح لي العمل مع غيرك.

- الان أفهم، إذا هل بإمكانك أن تأتي إلى شركتي؟ لدينا عمل
- طبعا، الساعة التاسعة سوف أكون هناك.

أشبعت حاجتها لصوته، خلقت فرصة لرؤيته، ودفعته هو لدعوتها، هكذا المرأة، تستطيع أن تأخذ ما تريد في 5 دقائق أواقل فاحذر منها، في النهاية انت لا تعرف ما تفكيرها أو ما تريد، وإن استطعت أن تفهم ما تريد إياك أن تحاول المراوغة وعدم إعطائها ما تريد، كمثلث برمودا، لن تفلت منها.

وصلت إلى الشركة كما وصلت يوم العقد، استقبلوها قدموا لها قطعة الكعك والعصير، وطلبوا منها الانتظار، ما يختلف عن المرة الاولى هو التوتر، الان هي تعرف انها بين يدين أمينة وليس عدو، هي تتخذه حماية لها منه.

كانت تأكل الكعكة حين دخل، مازلت تحبين اكل الكعك بيدك؟!

- جميل!
- أكملي

نفضت ايديها وشربت الماء.

- انهيت.

- بالعافية، هل أحببتها؟
- بالطبع
- في المرة الأولى لم تتناولينها
- لم أستطع حينها أن أثق في أي شيء تقدمه
- هل تخافينني؟
- لم أعد كذلك

كان بينهما فقط متر وسنتين وأحد المخدات، وكانت نظراتهم تتلاقى لولهة وتذهب لولهة أخرى.

- ما العمل الذي تريدني به.
- أحتاج إلى بعض الكلمات الجميلة التي سوف نضعها في معرض الكتب الذي سوف يقام في الخليل، أي اريد كلمات عن القراءة والكتابة وأهميتها وهكذا.
- هذا سهل علي، لكن لماذا لم تكتبها أنت؟ ألست كاتب أيضاً؟
- لنقل إننا نريد كتابات من المؤلفة الكبيرة المشهورة وليس من أنتاج شركة، في النهاية أنا لا أمثل نفسي فقط بل أمثل شركتي إذا لماذا لا يكون لدينا كاتبة

مثلك، شيء أخر أنت تريدين العمل وهذا ما لدينا حالياً.

يظن أنها اقتنعت، لا يعرف ما معنى الكيد لدى المرأة، (إن كيدهن عظيم)، هناك شيء يخفيه عنها خلف كلماته تلك، لطالما كان فاشلاً في اخفاء الأمور، عيناه تفضحه لا محال.

كان يريد أن يشغلها بأي شيء، كان يحاول أن يبعدها عنه ليستطيع التخطيط لحفل التقدم لها بطريقة أو بأخرى دون أن تشعر هي، يريد مفاجأتها كما يفعل دائماً، أن يكون كل شيء جديد بطريقة غريبة جديدة أو على الأقل تسعدها.

كانت تحب طريقة عرضه لها، طريقة انتهازه الفرص، وأنه يبقي كل ما يخصها قريب من قلبه وذاكرته وكيفية إضافته إلى العرض.

- سوف أتركك تقومين بالمهمة، لدي أعمال.
- لحظة، أنت بخير؟
- نعم
- هل حدث شيء؟
- لا
- إذا لماذا تتهرب مني؟

- أنا لا أتهرب أنا لدي أعمال ليس إلا!

حاولت أن تقتنع، وخرجت مودعة له عائدة إلى بيتها لتؤلف تلك الكلمات التي طلبها.

عقلها كان غزير التفكير فيه وبخبثه، وقلبها يحن عليه ويبرر أنه ضغط عمل، أما شيئاً ما يريد منها إنجاز المهمة ليس إلا.

أما هو كان يتظاهر أنه في الشركة وأن بعض الاعمال الشديدة تتراكم عليه، لكنه فعلياً يخطط لأمسية ليلية جميلة يتقدم فيها لطلب الزواج منها، يريدها أن تقبل ولا تجد مجالاً للرفض، يريد وضعها في موقف لا تستطيع التراجع به أبداً، لكن بحيلة ما أيضاً.

أتصل بمحمد وطلب منه أن يحضر، وقام بحجز في أحد المطاعم الكبيرة وأتفق معهم على زينة جميلة تناسب الأمسية، وذهب برفقة محمد إلى محلات الذهب لاختيار ذبلة – خاتم الزواج-الذي يمكنه أن يتوسط له عندها، أو الذي يستطيع سرقة عيناها وقلبها في آن واحد.

لنتفق ان هذا العالم فيه نوعين من البشر، الغامضون والظاهرون. الغامضون هم الذين بداخلهم شيئا ما مختلف،

يقومون بأفعال دون اظهار حقيقتها او لماذا هم يفعلون ذلك او كيف، هدفهم غالبا يكشف من قبل أحد ويكون نبيل، لكن بالنسبة لهم فهم يستحيل عليهم الاعتراف به. اما النوع الاخر فهم الظاهرون والذين هم منفتحين جدا يخبرون الجميع عن خططهم وحياتهم وحبهم لها وطموحاتهم المستقبلية ايضا، وهذا ما يعرضهم للألم، اذ ان الناس لا ترحم أحد ويقومون بتخريب كل شيء، ليسوا اشرارا لكن الحسد متواجد لا محال.

كان جميل غامض جدا، وبيان ظاهرة جدا، هذا المزيج هو الذي جعلهم يختلفون قليلا، كما خليط الموز والفراولة، تستطيع تمييز نكهة الفواكه لكنك لا تستطيع الفصل بين كل نكهة في كل رشفة.

ان هذا العالم مليء بالأوغاد، اشك انك تعرف احدهم، في حياتنا كلنا سوف نتعرض لاحد انواع جرائمهم النفسي، سوف يحبطك احدهم وسوف يكسرك احدهم وسوف يتهمك احدهم ويرجمك احدهم لكن اياك ان تلتفت لهم، ابقى قويا وتجاوزهم اجعلهم كلهم مجرد ذباب حول حلوى مغطى، لا تستطيع الدخول او التأثير فيها، ابقهم خارجا يحومون ويزنون ويتكلمون ويفعلون ما يريدون دون ان يؤثرون فيك ولا بشيء، لدي اقتراح يجعلهم يشعرون بذلك، ضع يديك على اذنيك

واطلب منهم ان يصمتوا وان لم يفعلوا ذلك تظاهر بأنك لم تسمع وعندما ينتهون انول يديك، نعم ليس من الادب لكن كلامهم المحبط ذلك ايضا ليس من الادب وعلى الاقل طريقتك سوف تعطيك مجالا لتسمع ذاتك فقط.

عليك ان تتعلم بعض الاشياء في حياتك.. اولا قاعدة خمسة لخمسة، وهي قاعدة تقول ان الشيء الذي تعمل عليه او تحزن عليه ان لم يجدي نفعا لخمس سنوات قادمة فهو لا يستحق منك 5 دقائق. اما ثانيا فهو ارضاء الناس غاية لا تدرك، مهما فعلت سوف تجد من يتصدى ذلك، اي كنت سوف تجد أحدهم يكرهك، لذلك افعل ما يحلو لك فالذي يحبك سوف يبقى والذي يكرهك هو من سوف يتحدث. القاعدة الثالثة الا وهي حلمك، اياك ثم اياك ان تتخلى عنه مهما حصل، لأنك سوف تندم لاحقا، مهما كان حلمك تأكد أنك تستطيع لان الله لا يضع فيك حلم لشيء الا ويعطيك القدرة على وصوله لكن اجتهد. رابعا عليك ان تضحك كثيرا مهما كلف الامر، مهما كان تافها، الن يسعدك؟ إذا هو ليس تافه وذو قدر كبير وهي السعادة التي يبحث عنها الكثيرون. القاعدة الاخيرة وهي تختص بذلك الشيء الذي هو الان قريب منك او بين يديك او على أقرب نقطة، ان بقي قريبا جدا سوف تبقى

انت بعيدا جدا، استغله في أفضل الامور التي تطور نفسك لكن اجعل وقته محدد، اتعرف أنك نسيت نفسك مقابله؟ ليس هناك وقت لنفسك بقدر الوقت الخاص به. تمسك بهذه القواعد او ضع خط تحتها او ضع عليها لون لأنك سوف تحتاجها لاحقا.

دائما ما سوف تجد من يعكر مزاجك وذلك أكثر الناس ورودا في هذه الحياة، كلمة منه تهدم حلمك وآمالك وخططك، المشكلة بالأساس ليست فيه بل فيك، انت من تسمح له بفعل ذلك، وهذا ما يدمر يومك وتقضيه بالتفكير في فشلك.

الحل.. قم بتسخين الماء لدرجة الغليان واتركها قليلا، خذ حماما دافئا وارتد ملابس مريحة، اعد كوب من الشاي وضع بعض اوراق النعناع فيه وارتشف الكوب كله وانت تجلس لمشاهدة غروب الشمس او قطرات المطر، خذ نفسا عميقا جدا، أغمض عيناك وتخيل اشياء تحبها وواقعية لا مستحيلة، خد نفسا كبيرا هذه المرة وافتح عيناك، اتجه الى سريرك وشد اللحاف الى ان يغطي جسمك، ثم غط في نوم عميق جدا، واهم نقطة.. ابتعد عن الهاتف حتى الصباح وعندما تصحو ضع خطة لحلمك ولخمس سنوات في حياتك، تلك الخلطة السرية

لمكونات السعادة البسيطة التي يطمح لها الجميع ويتمناها ولكنه لا يعرف انها بين يديه.

بيان كان خطتها دائما التقرب من حلمها أكثر من جميل، وكانت محقة، فالأصل هي لم يكن هدفها جميل عندما خرجت للعالم، لقد كان حلمها واضافت لخطتها ذات الخمس سنوات جميل وزواجها منه، لهذا هي كانت ناجحة. تفكر بعقلها وقلبها معا، تريده لكن لا يعلوا على حلمها أحد ولا حتى هو.

اما جميل خطته كانت حلمه ايضا، ولم يضع بيان فوقه ابدا، لكنه لم يغير بخطة الخمس سنوات فقط بل غير الخطة كلها ليصل الى الحلم الاكبر وهو تحقيق ثروة كبيرة وبذلك يتغلب على بيان بالخير والانتصار وبطريقة قد تجعله يبرر ما حصل قبلا، نعم كان ذكيا، لكنه الان اذكى اذ انه عاد للخطة القديمة مرة اخرى ولتحقيقها ومساعدة بيان في تحقيق خطتها القديمة.

كما مقولة (كشجرتين يمر الناس فيظنوهما بعيدتين، لكن جذورهم تترابط)، ان الحب الذي يدفن في اعماق القلب وحده ما يسمى الحب الحقيقي، يكون في وقته المناسب لا

مكشوف للجميع حتى يبهت، الشيء المناسب في الوقت المناسب في المكان المناسب.

كانت المطعم مجهزا على أكمل وجه، ان الذي حجزه هو السيد جميل المالكي صاحب أكبر ثروة، صاحب السمعة والجاه، حبهم له أكبر من طمعهم بأمواله جعلهم يهيئون المطعم كما طلب وأفضل، او حبهم العكسي.

كان كل شيء جاهز عداها، اتصل بها وأخبرها انه يحتاج مساعدتها في موضوع مهم، وان اللقاء بعد ساعة في مطعم معين، وهو نفس المكان الذي تم تجهيزه لأجلها. لم تلبث ساعة من الوقت حتى كانت جاهزة وتقف خارج المطعم تنتظره ولكنه لم يحضر مما اضطرها لان تقوم بالاتصال به والتأكد من حضوره، طلب منها الدخول وأخبرها انه ينتظرها في الداخل.

لم تتوقع ان يعقد قلبها بقلبه في هذه اللحظة، ولم يعلم أحد ان قصة جديدة تولد وان عصافير الحب تزقزق لأجلهم، ما ان دخلت حتى وجدته يجلس امامها ممسكا بخاتم جوهري مذهب وتوسطه جوهرة كرستال لامعة والورود والشموع تطوق الارض ومحمد ولارا خلفه وخلفهم طاقم المطعم كله، صرخ الجميع: مفاجأة! الا جميل الذي نطق بكلمات اخذت منها خمس سنوات

وقلب كاملا حتى ينطقها، كما الطفل الصغير الذي يتعلم الكلام ونطق الحروف لأول مرة والجميع ينتظر كلمة معينة، هل تقبلين الزواج بي؟ قال.

ان لحظة ظهور اول الشتاء، اول قطرات المطر، اول غيوم صغيرة، تلك التي ننتظرها ونتمناها طول الصيف تجعلنا نشعر بساعدة بغض النظر عن الاقلية الذين يكرهون الشتاء رغم انه سبب معيشهم، لا احد يرفضها بل نفرح لأجلها وقد نرقص، هكذا كان طلبه لها.. مطر بعد انتظار.

همت بالضحك ودموع السعادة تتزحلق على وجنتيها، احتضنها بعد ان البسها الخاتم واعلنت خطوبتهم في المطعم والقنوات المختصة لأخبار رجال الاعمال، وجلسوا اربعتهم تناولوا الغداء والحلوة بمناسبة تلك الفرحة، وكان اشبه بيوم الحب الذي انتظرته طويلاً جداً.

{رسالة الى احمد}

دائما لا أنسى ان اخبرك ماذا يحصل معي، رسالتي تلك التي لم تكتمل عدت لإكمالها لك بأخبار رائعة اعتقد أنك سوف تكون سعيد أكثر مني، احزر ماذا؟

لقد تمت خطبتي من جميل اليوم! تخيل! كل ما كنت اطمح اليه في ظرف شهرين اكتمل والان اصبحت خطيبته!، الاختلاف انني لست خطيبة البائع جميل المالكي بل خطيبة رجل الاعمال الشهير صاحب أكبر سلسلة من شركات المالكي جميل المالكي، انا لست سعيدة يا احمد بل انا سوف اطير من السعادة، لم اتوقع يومٌ ذلك.

كانت تلك الخمس سنوات وحدها كفيلة لإحباطي وسحب احلامي وجعلي أفكر انني لن اكون شيئا له ذات يوم، لكنني الان خطيبته وبيته وصندوق اسراره وسر حياته ونصفه الاخر وقلبه الاول وسعادته ومدبرة شؤونه وكل شيء.. كل شيء يا احمد!

لا اعلم كيف يستطيع الانسان وصف سعادته، لم اتي اليك وانا سعيدة كهذه السعادة لذا لا اعتقد انني أستطيع وصفها او تشبيهها لك، انا الان اشعر انني امتلكه كله، ان الحق به لي

وحدي، ان قلبه وتفكيره وعقله لي فقط، ان الحياة كلها اصبحت سعادة وايامي القادمة جميلة جدا وان كل شيء تحت السيطرة واقصد سيطرة قلبي ورغباتي وكل ما هو جميل.

بعد اليوم سوف أصبح ربة بيت، يكون لدي زوج يعود للبيت بعد يوم عمل طويل، اكون قد اعددت له الطعام الذي سوف اضع فيه كامل حبي، ويخبرني عن يومه الطويل وأقوم أنا بتخفيف الحمل عنه، ثم نجلس معاً نشاهد تلفاز، ننظر في عيني بعضنا دون خجل.

تخيل أنني سأكون عروسه، سوف أرتدي الثوب الأبيض له، سوف يمسك يدي وندخل إلى قاعة الزفاف، سيكون أنيق جداً لو أقنعته بارتداء قميص أسود لا أبيض، أحب أن أراه مختلفاً، مميزاً، جميلاً، أقسم أنه أجمل مما تتوقع، أريد أن أشرف أنا على ملابسه لأنني أريد إذ مرت فتاة من جانبه ترى أنه يملك عاشقة.

أريد أن أقول شيئاً وليسامحني الله عليه، لكن سعيدة لموت أمه لا شماته لكن لأنني سأكون أمه، ولن يكون هناك أم أخرى له، لا أقصد أنني أكرهها فأنا لا أعرفها حتى، المثل يقول (مصائب قوم عند قوم فوائد)، وربما ليس لدي أهل ليكون هو كل أهلي، خلقنا لنكون معاً وحدنا دون أي أحد.

لطالما كانت نظرتك عنه صحيحة، وكنت أنا مخطئة، لهذا أهل النار أكثرهم نساء، كثيرٌ ما نكفر العشير، ننسى كل ما هو جيد مقابل أي مشكلة أو شيء خاطئ حصل من الشخص، لم أكن أقصد ذلك أنت تعرفني أليس كذلك؟ ظننت أنه كان أناني يكرهني وقد حرق كتبي لا أكثر.

أتعرف شيئاً؟ وليكون سر بيننا، سامحته على كل شيء لان هذه إرادة القلب لكنني ما زلت أتذكر ذلك اليوم وكمية دموعي المشاكل التي حصلت معي بسببه، كنت مستعدة لأن حرقه وأكن أعد نفسي لانتقام ولكن كل شيء تم محوه الان، عدا حرق بناتي، كتب التي أنجبتها بعد عناء لن أغفر له عليها، الشرارة مازالت في القلب، مياه حبه لم تطفئها للأسف.

احبه، هذا شيء لا مجال لنقاشه، يحبني هذا لا مجال للنقاش فيه، لكن حركاته وتصرفاته لا تفهم هذا أيضاً يجب أن يكون ضمن مجال اللانقاش، انا سوف أعيش معه، سأصبح زوجته، ومازلت لا أضمن تصرفاته وحركاته، أنا أعلم أن ما هو قادم صعب لعدة أمور من بينها أنه يتصرف تصرفات تبدو في بداية الامر خاطئة ولا يبرر ويحرقني ثم يتضح في نهاية الامر وليس منه بل بجهدي الشخصي أنه ليس خطأ بل صحيح بطريقة أو بأخرى وأنني أنا الخاطئة.

اشبه بمعادلة فيزيائية صعبة، هو كان، سوف أعيش معه حياتي لا أعرف إذا كان يقصد الخطأ أم يفعله لأجل شيء صحيح ولا يريد التبرير، سوف أكون في حالة شديدة التوتر والحساسية، أصارع الزمن، أتعلق بخيط أبني عليه قرار مستقبلي.

ما أصعبها يا أحمد، أن تحب شخص لديه العقل الخليلي، أن الخليليون لديهم من العقل ما ليس لأحدهم، إذا وضعت فكرة في رأسهم لا تخرج إلا منفذة، وما معلومة تدخل رأسهم إلا وتثبتت حتى وإن طال الزمن، لا أذكر ان صادفت في حياتي عجوز أو كبير السن من الخليل وفاقد للذاكرة، كلهم لديهم عقول خطيرة، أقسم لو تحدوا الصين لانتصروا عليهم من النقاش الأول.

كل ما يهمني في الموضوع أنني سوف أتزوجه، أن حلمي يتحقق بعد طول انتظار، أن المطر يروي الأرض بعد الجفاف الطويل، أن الدعاء استجاب بعد الحاح، سعيدة جداً وسعادتي تلك تساوي ثلثين عقلي وكامل قلبي وتغلب ثلث القلق من مستقبل معه، انت تعرف أنه يقطن برام الله منذ الصغر، لكن عقله يبقى للأصل، الخليل، وما أدراك ما الخليل.

أرجوك يا أحمد، عد بسرعة، علينا أن نجري جلسة علاج نفسي قبل الزواج، أريد محاولة التخلص من هذه الأفكار السلبية والتوقعات الغير محبذة، ولا أريد أن يكتم حفل زفافي دونك، أريد على الأقل شخص من طرفي، كلهم أقربائه وأصدقائه، اما انا وحدي تماماً، لارا سوف تساعدني لكنها ستبقى خطيبة محمد أي طرف العريس.

تذكر أيضاً....

❖❖❖❖❖

الفصل الحادي عشر

{مراسم زفاف}

من قال ان الزفاف ليلة العمر، كان محق جداً.

إن التخرج والنجاح هي ليلة لا تعوض، ندعوها بليلة حياة، يكون فيها كل ما هو جميل وكل شيء كما تريد وأفضل، شعورها لا يوصف، ولا أحد يعرفه غير الذي جربه، أما الزفاف فيدعونها بليلة العمر لأنها لا تحدث أكثر من مرة، لست اقصد من تزوج أكثر من مرة لكن لن يكون كأول مرة.

دائما ما تكون الأشياء في أول مرة رائعة، لهذا تدعى أول، نقول أول مرة لأنها فعلا تبقى أول الاشياء مهما تكررت، يبقى أول الأشياء مختلف جداً، كتجربتك لأول كوب قهوة، أول قراءة لكتاب، أول نظرة مباشرة لعيون أحدهم، أول نجاح، أول تخرج، أول زفاف، أول مولود، أول شيئاً ذو قيمة كبيرة من ادخارك، أول راتب من العمل.

كانت التحضيرات جميلة، تجربتها لفساتين الزفاف، اختيارها لألوان الورود والكعك وغيره من الأشياء، جعلتها تشعر أنها أميرة تتحضر للتتويج لا الزفاف، كل شيء كان

منسقاً ومرتباً وبشكل مبهر، وضحكتها وحدها الزينة الكبرى للحفل.

لم تكن سعادة جميل نابعة من الزفاف فقط، بل من ضحكتها، تلك الضحكة التي اشتاق لها، التي فقدها بعد اخر مشكلة بينهم، تلك الضحكة النجمة التي تضيء سماء حياته، يتذكرها بحذافيرها

- لديك جوهرة ثمينة.
- أنا؟
- نعم
- لست من الاغنياء لم أقتني جوهرة في حياتي
- الجوهرة هي ضحكتك، كلهم فقراء ووحدك الغنية.

يغازلها هو دائماً ويصدمها بكلمات جميلة تجعلها تخجل، تشعر أن قيمتها عالية جداً، تشعر أنها أجمل نساء الأرض، وحده يملك مفتاح سعادتها.

انتهت التحضيرات، كل شيء كان جاهز ينتظر الغد ليرسم لوحة زفاف فنية، ليكتب الزمن رواية عشق ملونة، بطلها هو وضحكتها هي، لطالما انتظرت هي تلك اللحظة، كثيراً ما كانت تخبره أنها ستكون سعيدة حين تزف له

- اقترب ذاك اليوم (تأخذ نفساً عميقاً)
- أي يوم؟
- الذي سوف أزف فيه بالأبيض وأضع الزينة لك يا عزيزي
- لكنك تعجبينني هكذا
- كيف؟ بلا زواج؟ مجنون أنت؟ هل هذه القواعد الإسلامية أن نقطن معاً دون زواج؟
- أهدئي لم أقصد ذلك، أقصد أنت كما أنت، بلا زينة وإضافات، تعجبينني وأنت هلال، لا يهمني اكتمال القمر ليكون بدر، الضوء ينبعث منه حتى وإن كان محاق.

بارع في الحيل، لم يكن يريد أن يخبرها بذلك الوقت أنه ليس جاهزاً للزواج، هناك الكثير من التكاليف التي هو لا يملكها، فقد دفع كل شيء على كتابه، يستطيع بمهارة أسكاتها وأخبارها أنه يحبها ويريد الزواج منها لكن ليس في هذا الوقت، يخبرها عليك أن تنتظري لكن بطرق جميلة.

اليوم حان الوقت، لتتويج الملكة كزوجة للملك، الان ليس لديه كامل التكاليف بل التكاليف لديها كامل أموال جميل،

لربما هو كان ينتظر هذا اليوم، ربما خطط لفراق خمس سنوات وجمع ثروة ثم أن يعود ليلقاها بطريقة مميزة وبعدها يصالحها ويتقدم لها ويتم الزواج، كل شيء متوقع من رجل أعمال ناجح خليلي، أهم نقطة تلك لأنك لا تستطيع أن تحزر ماذا يخطط أو يوجد في عقله أو كيف، لا تستطيع طرح أي سؤال لأنه لن يكون هنالك جواب معنوي، عليك أن تنتظر وتشاهد الفعل، أفعالهم وحدها تجيب.

ما أطول الليل عندما يكون لديك فرحة في اليوم التالي، تشعر أنه لن ينتهي، تشعر أنه أطول من السنة كلها، تشعر أن الوقت لا يسير، أو أن الوقت يطول تدريجياً. يأتي الليل دائماً قبل الرحلة، قبل التخرج، قبل الزفاف، قبل التوظيف، قبل الدراسة، قبل كل شيء ليشعرك أن الراحة مهمة وأنه مهما كان هنالك شيء مهم لن يكون أهم من راحتك، الأولوية دائماً لها، يأتي الهدوء ليخبرك أنك الهدوء، فقط توقف عن التفكير وأرخي رأسك على الوسادة وفوض السلطة لعينيك، هذا أهم عامل ليكون اليوم التالي كما تريد.

في اليوم التالي الساعة الرابعة عصراً، كانت بيان جاهزة وتلتقط صور مع لارا في الصالون النسائي، تنتظر حضور جميل لنقلهم إلى قاعة الزفاف. هي لم تتوقع أن تعجبه لهذه الدرجة،

ما إن أتصل محمد وأخبرها أنهم في المصعد حتى وقفت تنتظره، وعندما رآها صعق مرة واحدة، أبتسم ونظر إليها، ثم وضع راحتي يديه على فمه وعاد يضحك، قال: لقد وقعت في العشق مرتين لنفس الفتاة، عروسي الجميلة.

طبع قبلة على ظهر يدها، ووضع يدها على يده ممسكاً بها بطريقة الأمير والاميرة، صحبها إلى السيارة التي كانت قد ارتدت الزهور والزينة لاستقبالها. وأقاموا حفل زفاف خيالياً، كان يراقصها كما الطفل الذي يلعب بلعبته، كان يحتضنها كما الذي لديه هدية جديدة، كان كالذي يلمس حلمه بعد عناء.

بعد أسبوع أقاموا حفل زفاف محمد، كان عليه أن يكون أول لكن جميل كان يحضر لهذا قبل محمد بخمس سنوات وليس فقط الشهور، لذا أضطر أن يسرق الأولوية.

تلك هي الحياة، يوم لك ويوم عليك، فقط طالب بحقوقك وقم على أداء واجباتك، لا تطالب بحقوقك إن لم تفعل واجباتك، لا تأخذ دور البطل وتقوم بالواجبات وتنسى الحقوق، هي دورة من قسمين، لا تتوقف عند أحدها ولا تضمن أحدها ولا تفكر في أخذ أحدها دون الاخر.

كان زوجها سعيد كما كانت تتمنى وتريد، الامر المختلف أن السعادة تضاعفت أكثر، هي الان مع من تحب، كما تتمنى، وكما تريد، وكما خططت.

الامر كان يعتمد علة الوقت، (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك) كان عليهم الاستغلال الجيد للوقت، هذا الشيء أتقنه جميل بشكل رائع، تطلب الامر خمس دقائق تخطيط، وخمس سنوات تنفيذ، لم يتغير الهدف وكانت النتيجة كما هو مطلوب، يقال إنها الثقة بالنفس، لكن الامر أعمق من ذلك بكثير، شيء كبير يدعى الحب.

عندما التقت عيناه بعينيها أول مرة، كان يتعمق جداً لدرجة أنه وصل إلى قلبها ووصلت هي إلى قلبه، شيء ما بقي داخل كل منهما مصر على أن يشد الاخر نحوه، في أعماق كل أنسان يوجد إما قطعة زائدة صغيرة أو فراغ صغير، خلق الله الشخصان ليكملوا بعض، فتلك القطعة تبحث عن المكان الذي وجد لأجلها وذلك الفراغ يبحث عن القطعة التي ستملئه، هذه العملية تدعى التكامل، تحدث في الحب الأول والنظرة الأولى والشخص الصحيح، حتى وإن انفصلوا وإن جربوا أن يرتبطون بشخص أخر لن تكون العلاقة متكاملة لان الفراغ امتلاء فعلياً

وتلك القطعة رست في مكانها، لذا أبحث عن الشخص الصح في المكان الصح للمرة الأولى.

كان دائما ما يسعدني، نخرج اسبوعيا، يصحبني بين الفترة والاخرى لعشاء في أحد المطاعم الفاخرة، لا يعود دون شوكولا وورد للبيت، يهدني العديد من العطور والمجوهرات والالبسة، يهديني الاغاني والموسيقى، يساعدني في الاعمال المنزلية، يشجعني على الكتابة، يحضر احيانا الطعام، يحتضنني كثيرا ويدللني، لا ينام إذا تزاعلنا ذات يوم، لا يرفض طلباتي.

امام لصلاتي، وموجهي ومرشدي الاول، يصحبني لقراءة القران، ويسابقني بعدد الصلوات على النبي والاستغفار والتسبيح، يصر على ان ارتدي الحجاب واللباس الساتر لكنني حتى الان لم ارتده، نذهب سويا الى الجامع، نصوم رمضان ونفطر معا، نسهر حتى السحور ونتسحر معا، يدفع الكثير من الصدقات عني وعنه ويشجعني لعملها.

قمنا بإرجاع المحل الصغير لبيع التحف والانتيكات والكتب باسم المالكي وجعلناه تابع لشركات جميل وقمنا بتشغيله مرة أخرى وكنت انا من تقوم بالبيع فيه وجميل يهتم في شركاته.

احببت كل حياتنا الزوجية، لم يمر يوم مر فيها، كل شيء كان خير، الا شيئاً واحد، عدم احترام جميل للمواعيد كان ذلك مهم لي لدرجة انه يجعل من علاقتنا مشكلة تفصلها شعرة، اما ان تنقطع او ان نعمرها لتصبح حبل ثم عقدة متشابكة لا يمكن لأي احد ان يحلها او يفكها، دائما ما يتأخر على كل المواعيد والمناسبات المهمة لي وكل عشاء، قمت ذات يوم بالاتصال به ودعوته لعشاء خارج المنزل فوافق وقال انه سوف يكون على الوقت، لكنه تركني حتى الواحدة ليلاً اجلس في المطعم وحدي، فحملت نفسي وعدت للبيت ولا اعلم اي ساعة هو عاد، في اليوم التالي اتصل ووعدني ان يصحبني هو لعشاء في مطعم وان انتظره الساعة الثامنة في المنزل ليأخذني هو للمطعم، لكن الساعة اصبحت الثانية عشر ولم يحضر وقد غفوت وانا اجلس في الصالون وانتظره، وعدني بتعويض اخر وهو ان احضر عشاء لذيذ بالمنزل وان يعود للأكل معي، لكنه لم يعد حتى الثانية عشر ووجدني نائمة على السفرة، عندما قام بإيقاظي لم اكل معه بل دخلت الى غرفتي واكملت نومي.

دائما كان هو لا يحترم المواعيد لكنها ظنت انه تغير بعد الزواج. كانت ليلة غائمة والمطر يطرق الشبابيك، وكل منهم يلتف داخل بطانية، يأكلون الفشار بيان ومحمد ولارا، في ذلك

الوقت كانت لار صديقة طفولته لمحمد فقط، كانوا بانتظار جميل لإحضار البيتزا، غفى الجميع في مكانه ولم يعد هو، في اليوم التالي بينما حل الصباح

- مرحبا محمد
- اين انت يا رجل؟ هل نقلوا البيتزا الى امريكا؟
- محمد اهدئ حصل ظرف ما، المهم لا اريدك ان تخبر بيان انني اتصلت بك فهي تتصل وانا لا اجيب سوف ادعي انه في حالة الصامت، وهيا الى العمل انا انتظرك في الشركة لدينا الكثير من الاعمال.
- هل انت بوعيك؟
- محمد اخبرتك كان ظرف

واقفل الهاتف، في نفس الوقت اقتربت بيان من محمد لتخبره ان الفطور جاهز فلاحظت توتره وهو يقفل الهاتف

- هذا جميل اليس كذلك؟
- لا انهم يطلبونني في العمل
- من الذي يطلبك؟
- العمال

- لماذا؟ جميل ليس هناك، هل تأخر عن عمله ايضاً ويضع الامر على عاتقك؟
- لا انه هناك وهو من..(ينتبه لكلامه ويصمت)
- لا يريد الحديث معي؟
- شيء كهذا، هو محرج مما حصل البارحة
- انا لا أفهم لماذا يتأخر؟ أين يذهب؟
- حسب معرفتي به، فهو يرتب أولوياته، ويقوم بتنفيذها، لعله تذكر موعد أو شيء مهم، نحن لا يجب أن نتسرع.
- أنت دائماً تبرر له
- لا ليس كذلك، لكنني حفظته

ربما هو كان محق، لكن شيئاً ما يحصل، إذا كان يرتب أولوياته ويتأخر إذا أين يضع بيان في هذه الأولويات؟ أين هو ترتيبها؟ هل يضعها جانباً؟ يقوم بأعماله كلها وأشيائه لكنها ضمن الجانبي تتخلل خططه في أي وقت لكن بعضها لا يمكنها أن تكون جزء صغير منه.

قال الله تعالى (الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات)، لم أشكك يوماً هذه الجملة أبداً، كنت أعرف أن الله عادل، يعطي لكل شخص منا الشخص المناسب له والذي هو بنفس أخلاقه،

لأنه سوف يحافظ عليك، سوف يكون سند لك، وف يعلمك الصحيح إن أخطأت ويعيدك إلى الطريق إن انحرفت عن مسارك.

كل شيء بدأ مثالياً، وكانت القصة الحماسية انتهت هنا، وباقي القصة تكتب كما أي سلسلة عادية.

الفصل الثاني عشر

{بهتان}

بهتان يسري في الروح والجسد!

بهتان الشيء او الشيء الباهت، يعني بطلان الشيء أو زوال الوانه او الشيء الذي بقي فترة طويلة في الشمس فبهت. ويقال الشخص الباهت أي المريض او الذي يكون متعب جداً، ويقال منطفئ أيضاً بمعنى بهت.

كانت هي أسم على مسمى، باهتة جداً منزوية في بيتها، لم يراها أحد تخرج أبداً، محمد ولارا يزورونها يومياً تقريباً، محمد يستشيرها في أمور الشركة الذي أصبح هو قائم عليها، أما لارا تقوم ببعض الاعمال المنزلية التي لا تستطيع بيان أو بهتان بعملها، ماتت السعادة في داخلها، دفنتها مع جميل تحت التراب، أتعرف شعور التعب ذاك الذي يختلط بدمك، يجعلك صامت طوال اليوم ثم كثير البكاء طول الليل، في الصباح يجعل من اسوداد الليل أسفل عينيك، ذلك الذي يقطعك بنغزات في القلب، الكل يطلب منها التوقف لأجل صحتها لكنها لا تستطيع.

إن موت الأحبة أشبه بصداع نصفي في القلب، يضرب حتى تضرب نفسك فيهدئ، يجعل منك مجنون بعقل، كان موت جميل أشد من هذا عليها، إذ أنه كان يهتم بها كثيراً ويخاف عليها أكثر، حدث هذا عندما استيقظت بيان ذات يوم وكانت تبكي من آلام في بطنها وما أن تأكل شيء حتى تعود لاستفراغه، بعد مدة قصيرة أصبحت بحالة جيدة لكن الإرهاق واضح عليها، قلق جميل حينها ووعدها ان يصحبها إلى الطبيب لكي يطمئن على حالتها.

الساعة الثانية عشر ظهراً، كانت هي تجلس في الصالون تنتظر اتصاله للذهاب إلى الطبيب، كانت تتوقع أن يتأخر كما عادته لكنها لم تتوقع ألا يحضر ولباقي العمر. رن هاتفها ورفعته، كان المتصل محمد، ما إن ردت عليه حتى صرخ يبكي ويلهث

- محمد!؟ ماذا هناك؟ أهدئ ما الذي يحصل؟!
- جميل (كان يصرخ)
- ج... جميل... ماذا حصل؟! لا تمازحني أرجوك
- جميل مات، جميل مات بحادث، نحن في مشفى المدينة

الأن، كنا نأمل أن يكون بخير لكن... (ويصرخ ببكاء)، (بعد مدة

من الصمت) اين أنت؟

لم يجب أحد، كانت قد أوقعت الهاتف وخرجت تعدو لا تعرف إلى أين تتجه، بعد فترة من الركض والبكاء وصلت إلى المشفى فرأت لارا تقف بجانب محمد وتضع يدها على كتفه، بينما محمد يبكي ويضع رأسه على سرير إحدى المرضى والمريض مغطى بالكامل، اقتربت منهم، رفعت الغطاء عن وجهه، انفجرت وسقط رأسها منهالاً بالبكاء على جثته، إنه جميل زوجها وحبيبها ورفيقها وسعادتها والحياة كلها، توفي الان، تركها ورحل، ملقى أمامها دون حراك، روحه تقطن بالسماء وجسده أمامها ملقى، بارد كالثلج، وجسده أزرق ملطخ بالدم الأحمر، لقد كان حادثاً مروعاً.

اقترب الطبيب ومجموعة من الإسعاف وأحد رجال الشرطة، طلبوا منهم أن يبتعدوا عن الجثة ليتمكنوا من أخذها وأن يقوموا بغسله ويوصلونه للجامع للصلاة عليه ودفنه، وطلب رجل الشرطة أن يتحدث معهم قليلاً، لم يستمع أحد لهم سوى لارا التي طلبت من محمد أن يكون قوياً وأن يساعدها في أقناع بيان أن تبتعد وتتوقف عن البكاء ولو قليلاً فهي مريضة ومتعبة، لكن بيان ألتصق به كما الطفل الذي كبر بسرعة جداً وجاء أحدهم لأخذ لعبته المفضلة.

كما الذي أخذ سنوات وهو يدرس ويتعب ليصل إلى مكانة الطالب المميز فأتى شخص لديه أب غني دفعه لدفع أموال طائلة وجعل ابنه الطالب المميز وأمات تعب الشخص الأول، أو كما رجل الجليد الذي بقي طوال الشتاء يعد لاستقبال الصيف وعندما جاءت أول إشعاعات الحرارة منه ذاب واختفى.

انتزعوها من على الجثة كما العلكة الملتصقة بالشعر، قال لهم الشرطي أنه حسب تحقيقاتهم فهو توفي بحادث سير طبيعي لكنه كان مسرع أكثر من اللازم مما جعله يفقد السيطرة على السيارة وتنقلب فيه إلى أسفل الجبل، حينها صرخت بيان متحدثة مع محمد

- أنا قتلته! أنا قتلته يا محمد!
- ما ذنبك!؟
- كان دائماً يتأخر على المواعيد، وكنت اليوم مريضة، جعلته يسرع وهددته ممازحة أنه إن لم يحضر على الوقت لن أرافقه من بعد اليوم وسوف أحزن جداً، أنا قتلته! (تجهش بالبكاء)
- لست أنت، لست أنت أهدئي أرجوك

بعض الأشياء الجميلة إن جاءت بغير أوانها لا تكن جميلة،

أحيانا حزن عميق يقتل فرحة عميقة، ما فائدة فرحة إصدار تأشيرة السفر بعد طول انتظار إذ كان الاب الذي سوف يصحبهم قد توفي؟ وما فائدة الطعام اللذيذ بعد الشبع، وما فائدة البالون بعد انتهاء عيد الميلاد، وما فائدة فرحة أول مولود بعد موت الاب؟

ما إن فتحت عيناها فإذا بها في أحد غرف المشفى وجانبها لارا تبكي

- بيان! لقد استيقظتِ! لدينا خبر لك!
- أي خبر!؟ هل كل شيء حلم وجميل بالخارج يقف!؟
- هذا قدر الله يا بيان! كوني قوية، الخبر هو أنك حامل!
- حامل؟! ... هل بداخلي طفل جميل؟! هل تمزحين؟!

(تعود للبكاء) جميل(تصرخ) ليته هنا الان كان سوف يفرح، أحلامنا تتحقق لكنه رحل... أين محمد؟

- لقد ذهب لاستلام الجثة وصلاة الجنازة، ووالد جميل ذهب معه أيضاً، أعلم أن جميل يكرهه لكنه مهما حصل يبقى والده
- آه، جميل! لماذا؟!

يحدث أن يخلق بداخلك جرم سماوي، بل ثقب اسود كبير،

يبتلع سعادتك ونظر عيناك وتفكيرك تجاه كل ما هو جميل، تشعر أنه لا مفر ولا محال من هذا الامر، تشعر أنه يمتصك قليلاً ويتركك قليلاً ثم يعود أقوى قليلاً، كأنك الكون والنجوم والكواكب، وكأن هذا الثقب يكبر كلما أبتلع سعادة.

ان الله سبحانه الذي يضع الطفل داخل الام وحده قادر على وضع السكينة والطمأنينة داخل قلبك، ان شقاء الحياة جهاد، وتحمل كلام الناس جهاد، والتعب من اجل الوصول الى شيء جهاد، وكل ما فيها جهاد، وما الحياة الا جهاد، كيف تستيقظ يومياً بنفس النفسية ونفس الجسد لتواجه نفس الروتين؟ أنها الحياة القاسية، كأنها وحش يكبر كل يوم وانت مجرد نفس المحارب ونفس الطاقة ونفس التعب، نحن نموت لنعيش... ولا يوجد تفسير لهذه الجملة.

ان القلب الذي داخلها مات، لكنه ببصيص صغير بعث حياة داخلها، طفل او طفلة، الشخص الذي توفي هو نفسه الذي اوجد حياة جديدة داخلها، تلك الروح ستكبر داخلها وستتغذى على طعامها وسوف تنبض من نبضها وسوف تلازمها نومها وصحوها وقراءتها او كتابتها او عملها او طبخها... المهم انه سوف يكبر معها، من قال ان الحب يجعل من الشخصان شخص كان محق لكنه نسي تكملة الجملة ليقول ليس حب رجل وامرأة، بل الام

وطفلها، أمك ثم أمك ثم أمك، كررها عليه الصلاة والسلام ليثبت ذلك لكن لم يلتفت لها أحد.

اتعي شعور وجود روح داخلك، وجود قطعة منك ومن زوجك، ثمرة حبك، شخص انت مسؤول عنه، روح سوف تربيها وتعتني فيها، روح سوف تكبر داخلك ثم امامك، روح ستكون شيئا انت تريده، شخص مثلك، نسخة مصغرة عنك، انت نفسك في زمن اخر، انت نفسك بعد موتك؟

رزقٌ كُتب لك، هدية من الله كتكفير ذنوب، ازرع فيه واحصد وأنسى كل محصولك المحروق سابقاً، كن له صديق حتى يكون لك صديق حتى يماثلك الشعور، حتى لا يتسنى له مهرب منك الا اليك. في أحد الروايات قرأت ان أحدهم كان صديق لابنه وصندوق اسراره، هذا الطفل ذات يوم حصل بينه وابنه مشكلة ولم يستطع الطفل ان يذهب الى اي شخص ليشكي له ويبكي، فقام هذا الاب بإرسال ورقة من أسفل باب غرفة ابنه كتب فيها (ابيك غاضب ونائم بينما صديقك يجلس في الحديقة ينتظر ان تشكو له)، خرج الطفل مسرع واتجه الى الحديقة وجد اباه ينتظره وهم باحتضانه ثم جلس يستمع له الى ان أنهي وقال سوف اتحدث مع والدك واحل القصة لكن لا تبكي.

بعد سبعة أشهر وضعت بهتان طفلتها، تلك الفتاة التي كانت تريد الخروج بسرعة فخرجت، لعلها كوالدها عنيدة جداً وإذا ارادت شيء سوف تفعله، وإذا كان هنالك تحدي بينها وبين شيء سوف تغير الطريق كله كالتسعة أشهر، تحدتها وجاءت في سبعة كما والدها تحدى الفوز وجاء ممول له.

نادرون هم هؤلاء الأشخاص، أبناء السبعة، الذين يولدون قبل أوانهم، خارجين في تحدي مع الطبيعة والبيئة والحياة، ليصرخوا قائلين: نحن هنا! ونريد أن نبدأ من صغرنا. يتغلبون على اشخاص التسعة بدخولهم المدارس قبلهم بسبب فارق الشهور، يحصلون على فرص عمل قبل الكل بسبب صغر، عقلهم مكتمل قبل جسدهم فيهمهم التفكير والعقل قبل الجسد والمظهر، ينبع حبهم من قلوبهم التي اكتملت بفضل أمهاتهم لذا لديهم من الحنية حنية الام، مبدعين بشكل رائع، عنيدين، متحديين، يفوزون وينجحون ويصلون القمة رغم أنف أكبر متكبر عليهم.

أسميتها شمس، فقد كانت بيضاء بشعر أسود كما الملاك الصغير، وكانت تشع كما الشمس، وقد أنارت عيناي بعد رؤيتها وتفتح وجهي سعادة لها، شعرت بحياتي تتغير من تلك اللحظة. عندما أحضرتها الممرضة لي كانت صغيرة جداً،

ودافئة نائمة، ترتدي البجامة الزهرية التي أحضرتها لارا هدية لها، كانت تتنفس بصوت عالي والدها تماماً، ولديها أنف صغير ويديان صغيرة وأصابع قصيرة جداً وكانت هي كما القطة تتقوقع على بعضها وتتنفس، وضعتها في حضني فتحركت قليلاً وأمسكت بيدها الصغيرة ردائي وأقفلت عيناها، كنت قد غرقت في دموع، مزيج بين الحزن والفرح، أرى مزيج بين جميل وبهتان، أرى طفلتي، وأرى شيئاً مني، تتحرك هي فأزداد بكاء أنا.

احتضنتها بين ذراعي، وأخذت تكبر مع الأيام، كما الزهرة تكبر كلما سقيتها واعتنيت بها، شمس كانت طفلة جميلة جداً، عينان بنيتان تضيئان بلون عسلي في الشمس، شعر أسود طويل، بيضاء البشرة، تصغر من في سنها حجماً بسبب قدومها قبل أوانها، إلا أنها خلال فترة المدرسة كبرت مسرعاً وأصبحت بطولهم وبصحة رائعة، اعتنيت بها جيداً، شمس تعشق القراءة كما والدها ووالدتها، تنتظر الامسيات الصيفية لأحكي لها حكايات وقصص، وتنتظر الشتاء لنراقب قطرات المطر معاً ونقرئ الكتب.

صنعت شمس لي داخل البيت عالم جديد، لم يكن على أن أخرج لأعيش حياة سعيدة، فسعادتي تنطلق في الصباح عندما تستيقظ وتغسل وجهها بيديها الصغيرتين وأسرح لها شعرها

جاعلاً منه جدلتين أنيتين، تخرج لمدرستها فأعود لاكتئابي وأعد الطعام، تعود فتعود الحياة والروح فتبث فيا، أقوم بتدريسها، نتغدى معاً، نكتب نقرئ نعد الفشار ونحضر فيلم، ثم نخرج للجلوس على الشرفة ليلاً، لم أكن أريد شيئاً من الحياة بعدها.

ترى الأم أبنتها الأولى كأنها قلبها، خرج منها ويكبر أمامها، فتحبها أكثر في كل مرة.

استطاعت بهتان غرس كل الاخلاق والصفات فيها، هيئتها لتصبح (بهتميل)، جميل وبهتان معاً لكن بالصفات الجيدة كلها، إلا شيء واحد، تأخرها عن المواعيد كما والدها، كانت تتأخر على المدرسة والفصل، وتتأخر كل سنة على عيد ميلاد سلام أبنه محمد ولارا، وتتأخر على عيد ميلاد جميل وهو أيضاً أبن محمد ولارا، والذي اسماه محمد جميل على اسم فقيدي وصديقه، تتأخر شمس على موعد الفيلم، تتأخر عند العودة للبيت، تحب بهتان الالتزام بالوقت حتى وإن لم تكن تقوم بأمور خاطئة، وتقول شمس أنها لا تستطيع أن تنظم وقتها مما جن جنون بهتان وجعلها ترى شمس كما جميل صغير يكبر أمامها لا بهتان، شعرت للحظة أنها سوف تفقدها..

{رسالة إلى أحمد}

تذكر أيضاً أنني اشتاقك.

لقد كبرت بسرعة، أصبحت عروس جميل، ثم زوجة جميل، ثم أرملة جميل، ثم أم شمس، أنا يا أحمد خلال سنتين كبرت بقدر أن أمر بكل مراحل الحياة تقريباً، أربعة مراحل أعطتني أمل وسحبته كله، كما صنبور المياه العاطل عن العمل، ينزق نقطة فنقطة.

مات جميل في حادث سير، السبب هو أنا وليس أنا، كيف أفسر لك ذلك؟ لقد كان يتأخر يا أحمد، نحن في الفترة الأخيرة لم نرى بعضنا إلا في الصباح عند الفطور وأحياناً يخرج فلا أراه، يعود متأخراً ليلاً، لا يعود للبيت نهاراً، كان حبيس عمله وأنا حبيسة بيته، أصبح لا يتذكرني، كأنني مجرد شيئاً جميلاً في حياته، وجود جميلاً وعدم وجوده لا يضر شيئاً.

دفعته ذات يوم للعودة مبكراً لاصطحابي للمشفى، كنت مريضة جداً، ولم يكن مرض كان شيئاً جميلاً وقد فوته جميل، توفي هو بينما عوضني الله عنه بفتاتي، شمس، تلك الفتاة التي تكونت داخلي وخرجت، نطفة تكونت من مزيج جميل وبهتان، جاءت وقد أنارت الدينا علي، أخرجتني من كل الظلام والخوف

والاكتئاب الذي كنت فيه، شعرت أنني أطير ولكن هذه المرة لا أحد يمسك يدي لأطير كما جميل في المرة الأولى، بل كنت أنا أمسك شمس وأعلمها الطيران.

تفاصيل حياتها كلها تظهر من وجه شمس، أحبها يا احمد، قطعة من قلبي هي، لا أحد منكم سوف يفهم هذا، نحن الاناث فقط من لدينا هذا الشعور، اسأل زوجتك وانا اقسم انها لن تستطيع شرح شيء مما في داخلها تجاه ابنائكم، كأن قلبها تراب واطفالها ورود، انا لدي حديقة بل غابات تعمرت بفضل شمس.

اما ذلك المسمار الذي زرع داخل احشائها الخشبية وحتى الان انا لا استطيع خلعه هو عادة والدها في التأخر، لازلت لا استطيع تغييرها لها، احاول قدر الامكان ان اجعلها ملتزمة لكنها ليست كذلك ابداً، وشيئاً أخر، هي تسأل كثيراً عن والدها وتتذمر كثيراً حول انها وحيدة، تريد اخاً او على الاقل اختاً، تغار من سلام بسبب وجود جميل اخاً لها، نسيت أخبارك أن محمد ولارا رزقوا بفتاة وولد، دعوا البنت سلام ودعوا الولد جميل كناية لروحي الراحل، لذلك تقول شمس انهم يلعبون معاً ويتصدون للأولاد المعاديين لهم معاً، دائماً ما يأتيان معاً للمدرسة ويعودان للبيت معاً، ويدرسان معاً، واذا حصل خلاف

بينهن يقف جميل مع أخته ضد شمس، تريد هي احداً مثله، تجعلني اشعر بالذنب رغم انني لا اقصر معها، اعاملها كصديقة واكثر لكنها تريد احد من عمرها، لا اعرف كيف اتعامل مع هذا الوضع ليتك هنا لتساعدني.

ربما لأنها أبنتي الأولى أنا لا أجيد حيل الأمهات، أحاول التعلم من لارا لكنها تربي اثنان وليس واحداً، لذا كل اقتراحاتها تدور حول أجعليهما، علميهما، لذا هذا لا يساعد بتاتاً، شمس تختلف عن أولاد محمد ولارا، شمس كوالدها تماماً لديها أطباعه وصفاته في الكبرياء، إن هذا يدفعني للجنون، كنت اضطر إلى التعامل مع جميل بأسلوب هو يريده ربما لان السلطة الاعلى له لكنني الان السلطة الاعلى لابنته لكنها تجبرني على أن أكون كما كنت مع والدها، في نفس الوقت بينما تقوم بإشعال عصبيتي تجعلني أقف وأضحك ثم أبكي، أعصب على تصرفاتها ثم أراها جميل الصغير فأضحك وأتذكر جميل الراحل فأبكي، ماذا سوف يحصل لو عاد؟ كانت حياتنا الان أجمل يا أحمد، كان لدى شمس أخوة وكان جميل سوف يتفهم تصرفها ويعرف كيف يتعامل مع الوضع الراهن.

عرض علي الزواج من الكثيرين لكنني لا أريد أحد غير جميل، هو رحل لكن طيفه مازال يعيش معي، ثم أنني أريد استغلال كل

تلك الثروة التي جمعها وتعب عليها وغاب عني بسببها جميل لابنته فقط. لا أعرف لماذا أتصرف هكذا لكنني كنت متاحتاً لطلبهم هذا عندما كنت وحيدة وغير متزوجة ولم يفكر أحداً بي بسبب أسمي وعائلتي والماضي المجهول والكلام القذر الذي كان يلوث حياتي دون مقدرة مني، الان بعد أن تزوجت جميل وتوفي أصبحت للزواج؟ هل أصبحت أجمل؟ أم أن الأموال أجمل؟ لا أعرف كيف سوف يجبرون أبنتي مستقبلاً على الزواج من أحد أبنائهم لأجل الثروة، لذا لن اسمح لها أن تتزوج من تريد بل من أنا أريد، أقصد سوف أرى من الذي يستحقها وأخيرها بينهم وغير ذلك لن أسمح، أنا لست سيئة يا احمد أنت تعرف، لكنني أريد حمايتها.

أتعرف يا أحمد؟ قلت لي أنني علي أحياناً البحث عن بدائل لبعض الأمور، أفكر في إحضار حيوان أليف لشمس، سوف تكون سعيدة وستنسى أمر الاخوة ذلك، أنظر الي لقد عشت دون أم ولا أب ولا أخوة ولم أتذمر يوماً كتذمرها، لم أقم بتحميل أحدهم جميلة ذلك ولا حتى أهلي نفسهم، كأنني أعرفهم، ليتني أعرف أمي أي أحد منهم، ليتها تقبلتني وأخذتني بعيداً وقامت بتربيتي، ليتها عاشت التجربة التي أعيشها الان، لكنني كنت حملاً ثقيلاً وسمعتاً سيئتاً، لكنني سوف أقوم باقتناء قطة

للعب مع شمس، اظن أن ذلك سوف يعوضها ويوقف تذمرها ذلك.

أفتقد أحيانا بيان، تلك التي ولدت لتكون بديلة بهتان، لتتحدى وتعيش وتصمد وتنجح، لكنني اكتشفت أن بهتان أقوى، بهتان كتابة الان واستطاعت أن تكون زوجة حتى لو بعدها أضحت ارملة، بهتان الام الحنونة، أم شمس القوية، بهتان صاحبة سلسلة شركات المالكي لصاحبها السابق جميل المالكي، بهتان التي تدير بيتها وشؤونها وأمورها ومشاعرها وكل ما يحيطها وكل ما داخلها، بهتان القوية بينما بيان ضعيفة، بيان التي حلت مكان بهتان لتصبح قوية ضعفت بينما بهتان عادت وكانت أقوى أنضج أفهم والاهم من ذلك هي أم، نعم أنا سعيدة بأمومتي.

هناك شيء أخر علي أخبارك به، والد جميل، السيد رابح المالكي، لقد جاء إلى بيتي وطلب السماح، أخبرني أنه تاب عن أعماله وأن هذا كله حدث عند موت جميل إذ أنه كان لأول مرة يرى جميل ضعيف بلا روح، أعتاد على رأيته بكبريائه وقوته، قال إن طاقته كانت تستمد من جميل، لقد تفهمت ذلك، لأنني الان أم وأعلم كيف يستمد الأهل قوتهم من أبنائهم، هو نادم والله يسامح النادمين فمن أنا كي لا أغفر؟ كل ما في الامر أنه

يريد أن يكفر عن أخطائه لعل جميل أيضاً يسامحه، وهو يحب شمس كثيراً يحتضنها ويبكي عندما تقول جملة معينة ويتبعها هو بجميل كان يقول ذلك في صغره. لا أعرف إذا كنت ما أفعله صحيح لكنني أؤمن أنه تغير وأن كل شخص يتعلم من أخطائه ويحاول أن يصلحها، وأنه علينا أن نعطي فرصة للجميع ليتغيروا أو يغيروا فجميعنا بداخلنا شيء نريده، جميعنا داخلنا شخص لا يعرفه أحد ونتمنى لو نخرجه للعالم.

أنا سوف أرسل لك هذه الرسالة، أعلم أنك سوف تجد فيها الكثير من الأشياء، كمية مشاعر كبيرة أيضاً ومختلفة، اليوم أتوقف هنا في هذه الرسالة التي لا تكملة لها لأن كل شيء أصبح مجرد روتين والقليل من عناد جميل في شمس.

أحتاجك يا أحمد، أرجوك عد لدي الكثير من الأشياء التي لا مخرج منها إلا إلى عقلك ولا حل لها إلا عندك، أذكر أنك لا ترفض دعوة أحد لأنك تشعر أن فيها تقليل احترام للطرف الاخر، لذا أنا أقوم بدعوتك إلى بيتي للتعرف على عائلتي، شمس وعمي رابح وصديقي محمد وأختي لارا وأبنائهم، أنا أدعوك إلى عشاء في بيتي أنت وزوجتك وأبنائك، أرجوك في أسرع وقت ممكن.

والسلام.

رسالة

إذا وصلت إلى هذه الصفحة فقد انتهت الرواية، قف هنا وأغلق الكتاب ولا تكمل قراءة، أما إذا قادك حظك إلى هذه الصفحة فأبدئ القراءة من هنا وتجاهل كلما هو سابق، أنا أحاول إرضاء الذين يحبون قراءة الروايات الطويلة والذين يفضلون قراءة ملخص الرواية.

اعتذر لم أخبرك بذلك من البداية فأنا لم أكتب كل ذلك هباء، تركت الامر للحظ، وحظك هو من فعل ما فعل.

أما إذا قرأت هذه الصفحة وبقيت مصر على قراءة السابق فأنت شخص رائع.

أما إذا قرئت ما سبق وتريد إكمال القراءة فقلب هذه الصفحة وأبدئ فأنا أكتب من أجلك أنت.

الفصل الأخير...

لنعد من الأول...

من مذكرات بيان

في الكون الفسيح يوجد عدة مجرات، في مجرة درب التبانة هناك الكثير من المجموعات، في المجموعة الشمسية هناك الكثير من الكوكب، في كوكب الأرض يوجد العديد من القارات، في قارة أسيا يوجد العديد من الدول، في دولة فلسطين يوجد العديد من المدن، في مدينة رام الله العديد من الاحياء والقرى والمخيمات والبلدان، في المدينة نفسها يوجد بيت، بجانب البيت يوجد عيادة للنفس صاحبها يدعى الدكتور أحمد، داخل هذه العيادة يوجد أنا، ادعى بهتان وعمري لا يساوي ألمي أبداً، لدي من الاوجاع ما يكفي للكرة الأرضية كلها ولدي من العمر ما يشاع أنه عمر الشباب في الكرة الأرضية كلها.

ولدت في مكان أشبه بخيمة لكنه ليس كذلك، أمي هي الأرض وابي هو الصاعقة، لا اعرف ما اسمهم ولم اراهم يوماً، أقسم أنهم لو مروا من امامي لن اعرفهم ولن يلتفتوا، ابي هو رجل سيء من النوع الذي يتجنبه الكل لكن لم يكن يعلم أحد

بذلك، وأمي من النوع الرقيق جداً والتي يجب أبعادها عن العالم.

كان الاحتلال السبب الأول في جريمة إنجابي وأنا احملهم كامل المسؤولية، حيث أن عائلة أمي تهجرت من بلدتهم، وفي الطريق إلى العيش البديل في رام الله على أمل العودة إلى بيتهم بعد فترة، أخذ جدي المفتاح لكنهم فيما بعد هدموا البيت، شيئاً ما منع جدي من أن ينزع المفتاح من رقبته وحتى الان لا أحد يعلم هذا السر.

أقاموا الخيام في البراري ونصبوا لليلة مشؤومة، كان أبي وأصدقائه يسهرون بالقرب منهم وكانوا يحاولون العودة للبيت بعد أن ضلوا الطريق حتى وجدوا الخيام، لم يستأذنوا أهلها حتى! ودخلوا إليها انتظاراً لبزوغ الفجر والضوء، في تلك اللحظات ضربت الصاعقة الأرض، اعتدى ابي على امي وأخذ أصدقائه ورحلوا بسرعة دون أن يراهم أحد.

الكل علم بالقصة وكان الكل يأنب أمي على خطأ لم ترتكبه حتى كرهت نفسها، مع مرور الشهور قل الحديث في القصة لكن لم ينسى أحد، وفجأة كنت أنا الشؤم الأكبر على أمي التي علمت بحملها متأخراً جداً فقام الحد عليها من قبل الكل عدا أبيها، هناك شيئاً جوهرياً يقع في يسار صدر جدي، أخذها بعيداً

عن قريتها وأعتنى بها رغم أنه كان يكره رؤيتها فيتذكر العار الذي أصابه، وضعتني أمي في ذلك الوقت دون مشفى أو طبيب وكان جدي خائفاً ولم يترك مكاناً قريباً منهم إلا وبحث فيه وفي آخر لحظة كان قد وجد طبيباً فماتت أمي.

أنا وأبي ومجتمعها قتلناها، لقد كنت منذ ولادتي شيء سيئ أصاب كل من يعرفه، كتاب عن الجان، إذ قرأته لن يرحموك ولن يتركوك وإن فكرت في فتحته سوف تموت لا محال، وهكذا أنا كل من عرفني لم يفارقني إلا قهراً موتاً وجعاً وأكثر.

أخذني جدي ووضعني في سلة على أحد أبواب ذاك الميتم الصغير وأرفق معي رسالة تشرح كل هذا وأخذتها قبل مغادرتي للميتم، شيئاً ما جعلني أعيش قالت مسؤولة الميتم أنني خلقت لأجل أحد ما وأن هنالك حكمة او دعوة جعلت كل هذا يحصل لأجلها، لكنها أخطأت بمنحي الامل!

عشت حياتي في ميتم وليس لدي أحد، الكل يكرهني لأنني نزوة، المتدينون يكرهونني فأنا حرام، اليتيمون يكرهونني فأنا لست مثلهم أي كان لديهم أهل، أبناء الشهداء يكرهونني فأنا ابنة قتل بينما هم أبناء شهادة، لم يكن هناك سوى صديقتي والتي حضرت معي في يوم توزيع الألبسة الجديدة والتي قام بتمويلها أحد كبار الأثرياء وتعرفت على طفله الغبي،

صديقتي التي أهدتني عقد لؤلؤي كذكرى بيننا، والتي كنا نتعلم معاً كيفية الكتابة والقراءة لكنها مع مرور الزمن اختفت نهائياً.

اكتشفت ان لدي خيالاً واسعاً، عفيت من تنظيف الحمامات وغسل الاطباق مقابل أن أقص على الأطفال اليتامى قصص وأن أقوم بكتابة وتأليف الكثير منها وان اعمل عروضاً للأطفال اليتامى.

ذات يوم بينما أنا أقف وأقرئ للأطفال قصة من قصصي قاطعني ابن ذلك الثري وعارض قصتي بقصةٍ غبية جداً منه، أراد أن يثبت نفسه ويهزم وقوفي، وأنا أعترف أغاظني جداً.

مرت الأيام، بلغت سن الثامنة عشر وخرجت من الميتم واستلمت الورقة التي هي الحبل الوحيد الذي يقربني من رائحة أمي وابي، خرجت إلى هذا العالم والذي كنت لثمانية عشرة سنة أتأهل للخروج ومواجهته، لم أجد وظيفة فليس لدي أي أوراق تثبت أسمي ولا حتى وجودي في الحياة، كل ما حصلت عليه عمل في أحد العيادات كعاملة تنظيف بمبلغ خسيس جداً لكنني اعتشت به ومن فضل الله أن أكون من المحظوظين الذين من عليهم الميتم بشقة قدمها أحد المتبرعين.

ذات يوم بينما أنا عائدة إلى عشي الصغير اتجهت إلى أحد المحلات لأشتري ساعة كنت قد رأيتها منذ أسبوع وأراقب عدم تقدم أحد من شرائها، أدخرت مبلغاً لها ودخلت، صدمت بالبائع الذي هو نفسه الطفل المغرور الذي شاهدته في الصغر، الذي اقترف معي مشكلة في يوم توزيع الملابس والذي قاطعني في قراءتي القصة للأطفال، لكنه كبر وأصبح أجمل واوعى وأصبح رجل رائع.

لم أبين له معرفتي به، لكنني جذبته بأسلوبي، إن الكاتبات المؤلفات دائماً ما لديهن أسلوب في الجذب والانتباه فتلك مهارتهن وطريقتهن في جعلك تفكر ألف مرة بردك، وحدها تدعى موهبة، ويوجد لديهن الكثير من الكلمات بل بحر قد تغرق فيه، فإياك أن تقع في حب كاتبة أو قارئة إن لم تكن تستطيع أن تهزمها ببحر أضخم.

أخذت الساعة وقلبه واتجهت خارجاً، أعدت الكرة أكثر من مرة بهدف جذب صديق إلى حياتي المملة، ولكنه بذكاء ما سرق قلبي أيضاً، أصبحنا نلتقي يومياً ونتحدث حتى تذكرني بطريقة القصة، حصل بيننا مشكلة صغيرة أثبتلي أنني مخطئة وأنه يحبني وعرض علي العمل معه في المحل الصغير، كنت

سعيدة بعرضه جداً إذ أنني وأخيراً سوف أتخلص من عمل التنظيف ذاك.

أصبحنا واحد من ذلك الحين، أحببنا بعضنا واتفقنا على مستقبل جميل لم يحلم به أحد، بعد مدة أصدر هو كتابه الأول وكنا ندخر لشراء سيارتنا الخاصة وكان يشجعني على أن أكتب حتى أصدر كتاب أنا أيضا.

فجأة أصبح شيطاناً أنانياً، يريد أن ينجح كتابه على حساب كتابي، ولم يريد لي النجاح ولا الخير حتى منعني من نشرها بحجة ما بدار النشر، تحديته أن كتابي سوف يصدر ويصبح أكبر من كتابه وأن تعبي لن يذهب بسهولة فقام بحرق الغرفة التي وضعت فيها الكتب وأشعلت النار بكل ورقة فيها وصب النار في قلبي وعروقي، جعل مني مضحكة ومصدر سخرية لدار النشر والناس، حقدت عليه وتواعدت بالانتقام.

اتجهت إلى عيادة نفسية إذ كنت سوف أجن تعباً، تعرفت على الطبيب النفسي أحمد والذي أصبحنا أصدقاء وعرفني إلى زوجته وعائلته، كانوا الدعم الأول وقاموا بتشجيعي للحصول على جائزة أفضل مؤلف.

انتقمت بحصولي على جائزة أفضل مؤلف والذي كان يطمح لها، لكنه كان يخطط ضدي وجاء هو انتقاماً، كان

الممول للجائزة الحاصلة أنا عليها، هزمني وأرجعني لخمس سنوات للخلف، ثم صدمني بعقد جعل مني حبيسة له وصدمة أخرى أنه أصبح أكبر رجال الأعمال.

التقيت بمحمد صديقه والذي هو سنده من بعد موت أمه وشهرة أبيه الذي كان نصاباً، وهو الذي حل العقدة وأوضح كل القصة التي هي أن دار النشر تابعة لأبيه وأن كل النسخ مزورة ومسروقة، وهو من قام بإنقاضي، انتقم أيضاً من والده بهذه النيران، وتمت الصلحة بيننا ولم يعد بيننا أي مشاكل.

بعد فترة تمت خطبة محمد لصديقته لارا واتفقنا على خطبتي لجميل، وكل شيء كان كما خططنا له وكما الحلم، كنت سعيدة جداً لدرجة الطيران.

كنت عروس جميلة وأتحضر لزفافي وارتدي الأبيض انتظر جميل على نار، كانت كل احلامي تتحقق، كنت قد ركبت الجناحين وبقي علي أن أتعلم الطيران منه، كان كل شيء مثالي، كل قهري وحرق قلبي وتعبي وحياتي ووجعي والكلام الجارح والمشاكل وكل شيء سوف ينتهي وتبدأ حياتي الجيدة من هذه اللحظة، وكان أضخم حفل زفاف تبعه حفل زفاف محمد.

في يوم أخر بعد شهور من الزواج، للحظة كنت أنتظر الهاتف ليصلني أتصال جميل ليخبرني أنه سوف يكون بعد دقيقتين في البيت لنذهب للمشفى لأنني مريضة ولدي ألم حاد في البطن، جاء الاتصال قمت بالرد وكانت المفاجأة، حادث سير سرق كل فرحتي وحياتي واحلامي، جعل مني مسخرة مرة أخرى للناس وللمستقبل الذي خطته ولحلمي كله.

قمت برشق وجهي بالمياه غسلت كل مساحيق التجميل وفككت شعري وهرعت أركض، أنها نفس اللحظات التي هرعت فيها إلى الروايات المحروقة قبل خمس سنوات، نفس اللحظة لكن المحروق الان كان هو، نفسه الذي كان في تلك اللحظة الحارق.

صرخت كثيراً وبكيت كثيراً، لكن لم يعد لدي أحد في هذه الدنيا، حتى الشخص الذي وجدت لأجله كما قالت المسؤولة في الميتم توفي، حاولت الانتحار لكن لم ينقذني سوى صديقي محمد وزوجته الذي طلب مني أن أخرج من البيت لكنني فضلت أن أبقى في البيت بشكل دائم لعلني أجد في عزلتي شيئاً جيداً، اتخذت الكتب صديقاً والورق والاقلام زوج، أكتب بشغف وينشر محمد كل ما اكتبه ضمن مجموعة كتب باسم بهتان صرخة مكتومة.

اعتقدت أنني بعد موته سوف أموت، لكنني بعد مدة اكتشفت أن المرض والالم الذي كان جميل سوف يرافقني لمعرفته هو حملي، نَمَت بداخلي فتاة تدعى شمس جميل، أسميتها شمس لأنها أنارت حياتي من بعد والدها، أحببتها ورأيته في عياناها، كانت فتاة شرعية ذات أسم حقيقي وأب وأم حقيقيين ليس كأمها، لذا أنا قائمة على غرس بهتان وجميل داخلها.

مذكرتي العزيزة، هذه هي كل قصتي البائسة، لا اعلم لماذا اكتبها لعلها صفة ورثتها من امي والتي استدعاني الميتم بعد موت جميل لإعطائي ورقة تحمل أسم ملاك وهو أسمها، تحتوي على بعض النصائح التي كتبتها أمي قبل أن تموت وعن الوجع الذي كانت تعيشه.

أعتذر... إن الموت يسحبني كل يوم لذا لن أستسلم، لن أنتحر لكنني سوف أتوقف عن العيش ابتداءً من هذه اللحظة، وسوف أقضي حياتي في تربية بذرة حبي وجميل، لتكبر وتصبح نسخة عنا، لأرى جميل فيها.

مذكرتي العزيزة، أكره الحياة التي لم تعطني فرصة إلا وأخذتها بقوة، وأعشق جميل، وأحب شمس والسلام.

عزيزي القارئ

أعتذر أولا ....

لم تكن غايتي جعل الرواية هكذا، كنت أطمح لإضافة الكثير من الإيجابيات، فالحلويات تسعد العين والقلب والروح قبل الطعم، كان مجرد عنوان الإيجابية سوف يشد الكثير من الناس لكنني اضطرت إلى أن تكون هكذا لكثير من الأسباب اسأل متابعيني عنها.

أشكرك ثانياً....

لم أتوقع أن يشتري الكثير كتابي، أنا أثق بنفسي وبكتابتي لكن المحيط الذي أطفئ وميضي جعلني أفقد بعض النيران المشتعلة للكتابة داخلي، لذا شكراً لاقتنائك كتابي وشكراً لقراءتك له، وثق تماماً أنني أنتظر تقييمك.

أوضح لك ثالثاً....

حصلت على الكثير من التشجيع حول كتاباتي شعرت يوماً أنني سوف أصل إلى شيء عظيم، كإصدار هذا الكتاب مثلاً، لكنني بالمقابل تلقيت كمية إحباط ضعفي كمية الإيجابية التي حصدتها، عملت خلال ثلاث إلى أربع سنوات لأنتج كتاب لكنه لم يكن مؤهلاً للنشر، لذا ثق تماماً أنه لا أحد يصل دون أن يتعب ويجتهد ويفشل عدة مرات ويهوي إلى القاع، لكن الشخص

المصر الحالم الذكي المثابر هو الذي يصنع سلماً أو حبلاً يشده من القاع إلى الخارج ثم إلى القمة، لذا ضع حلمك وأجتهد.

سبب الرواية رابعاً....

أنا أكتب تلك الرواية كتحدي لكل من قال إنني فاشلة، لكل دار نشر رفضت نشر أي من كتاباتي، لكل شخص وجده الناس على الأبواب أو في القمامة أو في الشوارع، لكل (بأي ذنب قتلت)، لكل شخص يقع من أقل أو أكبر مصيبة.

أعرفك بنفسي خامساً....

أنا هلاله ماجد، ماجد هو أسم أبي لا عائلتي وأعتقد أنه علي أن أحمل أسمه لا أسم العائلة، فهو من أوصلني هنا لا العائلة، أنا فتاة قروية، أقطن في قرية تختبئ بعيد عن الناس ببعض الكيلو مترات تدعى الطيرة وهي تابعة لرام الله الجميلة، لدي من الاحلام ما يجعلني لا أرى على ماذا أسير إذا رأيت إحداها من بعيد أو مجرد وميض لها، مزاجية نوع ما (الرواية تشهد على ذلك)، أكتب منذ كنت صغيرة والكلمات الجميلة هي من تشجعني للوصول والنجاح لا عمري، تعرف علي قبل أن تحكم علي، ألطف من أنو أخذلك.

الفهرس

الاهداء 5
مقدمة 7
الفصل الأول 9
{صدفة} 9
{رسالة إلى احمد} 22
الفصل الثاني 27
{عقد اللقاء} 27
الفصل الثالث 34
{سجن} 34
الفصل الرابع 41
{تناقض} 41
{رسالة إلى احمد} 49
الفصل الخامس 52
{بداية الامر} 52
الفصل السادس 61
{روح} 61
الفصل السابع 70
{صلحه} 70

{رسالة إلى احمد} 78
الفصل الثامن 82
{الساعة الحمراء} 82
{خطبة} 102
{رسالة إلى أحمد} 109
الفصل التاسع {الهدوء} 112
الفصل العاشر 122
{إشارات القدر} 122
{رسالة الى احمد} 134
الفصل الحادي عشر 139
{مراسم زفاف} 139
الفصل الثاني عشر 150
{بهتان} 150
{رسالة إلى أحمد} 160
رسالة 166
الفصل الأخير 167